

إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ



## حياته وشعره

اسمهُ وَكُنْيَتُهُ وَلَقَبُهُ:

هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر<sup>(١)</sup>، يُكنى بأبي إسحاق<sup>(٢)</sup>، ويُلقب بالضبي<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: معجم الأدباء ٢٢٦/١.

(٢) يُنظر: الأغاني ١٥٧/٢٢.

من الجدير بالذكر أن الأستاذ محمد كرد علي كناه بأبي اليسر (رسائل البلغاء ٢٢٧) وجاراه بعض المحدثين، ولكنه جعل له كنيتين فقال: (وأول من صنف في صناعة النثر أبو إسحاق (ويكنى أبا اليسر) إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر (تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١١٧/٢). ونحسب أن هذا وهم، وأنه لم يكن إلا بأبي إسحاق، وجاءت هذه الكنية على السنة الشعراء والمؤلفين، ولم يشر أحد من القدماء إلى تكنيته بأبي اليسر. ينظر: ديوان البحري: ٣٣١، ٤٢٧، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٨٧٢، ١٩٦١، ١٦٩٤، وديوان ابن الرومي: ٢٤٠٣، والأغاني ١٥٧/٢٢، ١٧٧، ٢٤/٢٣، ومعجم الأدباء ٢٢٦/١.

(٣) ينظر: ديوان البحري ٣١٧، وديوان المعاني ٢٢٠/٢، وسمط اللالي ١٣٤/١.

والجدير بالذكر أنه ورد في العقد الفريد (١٧١/٤، ١٧٢، ١٨٠) ما يفهم منه تلقيبه بالشيباني، جاء ذلك في مقدمة النصوص التي استشهد بها ابن عبد ربه، وهي أجزاء من الرسالة العذراء المنسوبة إلى ابن المدبر، ونحسب أن هذا وهم أيضاً، ودليلنا على ذلك أن أحداً من مادحيه أو هاجبيه من الشعراء أو من مترجميه وذاكري أخباره لم يلقبه بهذا اللقب. ومعلوم أن الشعراء وخاصة في حال غضبهم كثيراً ما كانوا يُعَيرون ويُنبذون =

ويعرف بآبن المدبر<sup>(١)</sup>.

وآل المدبر من دستميسان، وهي كورة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب<sup>(٢)</sup>.

وجدير بالذكر أننا لا نعرف الوقت أو السبب الذي لقب به بنو المدبر بهذا اللقب. وهو بدون شك مأخوذ من التدبير، وفي ما وصل إلينا من مدائح الشعراء وإشاراتهم إليه دليل على هذا.

وقد اختلف في ضبط هذا اللقب أيضاً، فجاء في معجم الأدباء: «المدبر» بسكون الدال وكسر الباء<sup>(٣)</sup>، وجاء في المشتبه بتشديد الدال وفتحها<sup>(٤)</sup>.

وجاء في الشعر ما يدل على أنه بتشديد الدال وكسرها، قال ابن عبد كان في أحمد بن المدبر:

لولا قيامك بالدنيا تدبرها يا ابن المدبر لاستهوى بها العطب<sup>(٥)</sup>

= مهجويهم بمثل هذه الأمور. وقد هجا ابن الرومي ابن المدبر أكثر من مرة ولكنه لم يميزه بانتحال لقب الشيباني، ينظر ديوانه: ٤٠٣، ٤٧٥، ٦٠٣، ٧٣٦ - ٧٣٩، ٧٧٩ - ٧٨٠، ١٠٧٩، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٦٤٥، في حين نرى ابن الرومي قد غمز إسماعيل بن بلبل بهذا اللقب الذي كان يدعيه (ديوانه ٢٩٩)، كما أن بعض الشعراء غمز ابن المدبر بانتسابه إلى ضبة (معجم الشعراء ٤٠٩، ومعجم الأدباء ٢٣١/١).

(١) ينظر: ديوان البحري ١٠٥٨، ١٠٦٤، ١٥٤٨، ١٦٩٧، وديوان ابن الرومي:

٧٣٦، ١٠٩٥، ١١١٨، والأغاني ١٥٧/٢٢، وإعتاب الكتاب ١٥٩.

(٢) ينظر: معجم الأدباء ٢٢٨/١، ومعجم البلدان ٤٥٥/٢.

(٣) معجم الأدباء ٢٢٦/١، والجدير بالذكر أن ضبط الاسم على هذا النحو من عمل الناشر.

(٤) المشتبه في أسماء الرجال: ٥٨١، وتبع الذهبي غير واحد ممن ذكر هذا اللقب من

المحدثين.

(٥) الوافي بالوفيات ٣١٥/٣.

وقال البُحترِيُّ في إبراهيم:

كَلُوا الغَايَةَ القُصْوَى إلى مَنْ يَفوتُكُمْ بِهَا، وَدَعُوا التَّدْبِيرَ لِابْنِ المُدَبِّرِ<sup>(١)</sup>

وجاء في وفيات الأعيان في الحديث عن أحمد بن المُدَبِّر:

«والمُدَبِّر: بكسر الباءِ الموحَّدةِ المُشدَّدة»<sup>(٢)</sup>.

ولادته:

ذَكَرَ الكُتُبِيُّ والصَّفَدِيُّ أَنَّ ولادةَ إبراهيمَ كانت في سنة ٢١١ هـ<sup>(٣)</sup>، غيرَ أن هناك خَبيراً رواه ابنُ المُعْتزِّ عن ابنِ المُدَبِّرِ نفسه أشارَ فيه إلى أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ المأمونِ إلى أرضِ الرُّومِ، يَطْلُبُ ما يَطْلُبُهُ الأَحداثُ مِنَ الرُّزْقِ، فَكانَ يَسِيرُ مَعَ العَسْكَرِ<sup>(٤)</sup>. ومَعْلومٌ أَنَّ المأمونَ شَخَّصَ من مَدِينَةِ السَّلَامِ لِعَزْوِ الرُّومِ في سنة ٢١٥ هـ وبقي إلى سنة ٢١٦ هـ<sup>(٥)</sup>.

وإذا افترضنا أَنَّ ابنَ المُدَبِّرِ في سنة ٢١٥ هـ كان في الخامسة عَشْرَةَ أو السَّادسةَ عَشْرَةَ، فتكونُ ولادتهُ في سنة ١٩٩ هـ أو ٢٠٠ هـ<sup>(٦)</sup>.

ونحنُ لا نَعْرِفُ شيئاً عَن مَسْقَطِ رَأْسِ الرَّجْلِ، وَلَكِنَّ الزَّرْكَلي أشارَ إلى أَنَّهُ «من أهلِ بَغداد»<sup>(٧)</sup>.

(١) ديوان البحترى ١٠٦٤.

(٢) ٥٦/٧، وينظر: مجلة الأعلام الجزء الحادي عشر ١٩٦٩ ص ٣٤.

(٣) ينظر: فوات الوفيات ٤٧/١، والوفى بالوفيات ١١٠/٦.

(٤) يُنظر: الأغاني ٦٤/٢١.

(٥) ينظر: الطبري ٦٢٣/٨، ٦٢٥ حوادث سنة ٢١٥ هـ، و ٢١٦ هـ.

(٦) جاء في تاج العروس: «وحدائث السن: كناية عن الشباب وأول العمر... ورجلٌ حدَّث: أي شاب». والجدير بالذكر أن بعض دارسي ابن المدبر أشار إلى ولادته مُستنداً على هذا الخبر فقال: «والذي تحقَّق لي أن إبراهيم بن المدبر ولد في إحدى السنوات الخمس الأولى من القرن الثالث الهجري». الأعلام الجزء ١١ السنة الخامسة ص ٣٥.

(٧) الأعلام ٥٦/١.

## حَيَاتُهُ:

لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ عَلَى الدَّارِسِ - حِينَ تَقْتَضِبُ الْأَخْبَارَ، أَوْ تُطَمَسُ بَعْضُ مَعَالِمِهَا، أَوْ تَتَدَاخَلُ، أَوْ يُسَكَّتْ عَنْ تَسْلُسِلِهَا أَوْ تَأْرِيخِهَا - أَنْ يَرَسُمَ صُورَةً دَقِيقَةً وَاضِحَةً الْمَعَالِمِ، سَلِيمَةً التَّدْرُجِ، لِمَنْ يَحْتَفِلُ بِدِرَاسَتِهِ مِنَ الْأَعْلَامِ الْأَدْبِيَّةِ أَوْ التَّارِيخِيَّةِ. وَأَبْنُ الْمُدَبِّرِ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلَثِكَ الَّذِينَ يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ.

وَسَأَحَاوِلُ - مَعَ ذَلِكَ - أَنْ أَوْضِحَ شَيْئًا مِنْ مَلَاحِجِ هَذِهِ الصُّورَةِ بِمَا تَجْمَعُ لَدَيَّ مِنْ نُصُوصٍ وَأَخْبَارٍ عَنْهَا.

يَظْهَرُ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُطَالَعْنَا مِنْ سِمَاتِ هَذِهِ الصُّورَةِ الْخَبْرُ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ هَذَا، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ حَدَثًا وَأَنَّهُ خَرَجَ مَعَ الْمَأْمُونِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ، يَطْلُبُ مَا يَطْلُبُهُ الْأَحْدَاثُ مِنَ الرِّزْقِ، فَكَانَ يَسِيرُ مَعَ الْعَسْكَرِ، وَأَنَّهُ زَاهَنَ بَعْضَ أَتْرَابِهِ فِي أَنْ يَمُرَّ فِي جَنَابَاتِ الْعَمَارِيَّاتِ<sup>(١)</sup>. وَتَقَدَّمَ أَنَّ خُرُوجَ الْمَأْمُونِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ كَانَ فِي سَنَةِ ٢١٥ هـ<sup>(٢)</sup>.

وَتَحْتَفِي مَعَالِمُ تِلْكَ الصُّورَةِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهَا تَبْرُزُ وَاضِحَةً جَلِيَّةً فِي عَهْدِ الْمُتَوَكَّلِ الَّذِي أَسْتُخْلَفَ فِي سَنَةِ ٢٣٢ هـ<sup>(٣)</sup>.

وَأَشَارَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ مُتَرَجِمِيهِ وَذَاكِرِيهِ أَخْبَارَهُ إِلَى صِلَتِهِ الْقَوِيَّةِ الطَّوِيلَةِ بِالْمُتَوَكَّلِ، فَقَالَ الصُّولِيُّ: (وَخَدَمَ الْمُتَوَكَّلَ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ حُطُوتٌ)<sup>(٤)</sup>، وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ: (وَكَانَ الْمُتَوَكَّلُ يُقَدِّمُهُ وَيُؤْتِرُهُ وَيُفَضِّلُهُ)<sup>(٥)</sup>، وَقَالَ الصَّفَدِيُّ:

(١) ينظر: الأغاني ٦٤/٢١. العَمَارِيَّات: الهوادج.

(٢) ينظر: الطبري حوادث ٢١٥، و٢١٦ هـ.

(٣) ينظر: البحري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ١٥٧.

(٤) إعتاب الكتاب ١٥٩.

(٥) الأغاني ١٥٧/٢٢.

(خَدَمَ الْمُتَوَكَّلَ مُدَّةً طَوِيلَةً) (١).

وهناك أخبارٌ في علاقةِ ابنِ المُدَبِّرِ بِالمُتَوَكَّلِ تَدُلُّ على صِلَتِهِ القَوِيَّةِ، ومكانِهِ القَرِيبِ من نَفْسِ الخَلِيفَةِ. فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ قَوْلُهُ: (لَمَّا طَهَّرَ الْمُعْتَزُّ، اجْتَمَعَ مَشَايخُ الكُتَابِ بَيْنَ يَدَيْ المُتَوَكَّلِ ...) (٢)، وكانَ أَحَدَ مَنْ خَرَجَ مَعَ إِسْحاقَ بنِ إِبْرَاهِيمَ عَامِلِ الشَّرْطَةِ بِبَغدَادَ حِينَ أُوْعِزَ المُتَوَكَّلُ إِلَيْهِ بِالقَبْضِ على إِيْتاخَ في سَنَةِ ٢٣٥ هـ (٣).

وشارَكَ الشُّعْرَاءُ في الثَّنَاءِ على مُبايَعَةِ المُتَوَكَّلِ لِبنِيهِ الثَّلَاثَةِ بِبِوَلَايَةِ العَهْدِ وَذَلِكَ في سَنَةِ ٢٣٥ هـ (٤)، وهوَ الَّذِي اقْتَرَحَ على المُتَوَكَّلِ إِقْطَاعَ مروانَ بنِ أَبِي الجَنُوبِ الَّذِي قَدِمَ من اليمامة لِتأييدِ مُبايَعَةِ الخَلِيفَةِ لِبنِيهِ بِبِوَلَايَةِ العَهْدِ، لِقَاءَ أَجْرٍ سَنَوِيٍّ زَهِيدٍ (٥).

وَرُوِيَ عن ابنِ المُدَبِّرِ أَنَّهُ كانَ واقِفاً بَيْنَ يَدَيْ المُتَوَكَّلِ وَقَدْ جِيءَ بِرَأْسِ أَحَدِ الخارجينَ على الخَلِيفَةِ فَارتَجَلَ عليُّ بنُ الجَهْمِ شِعْراً في ذلك (٦). كما رُوِيَ عَنْهُ خَبْرٌ ثَلَبَ المُتَوَكَّلِ لابنِ الجَهْمِ هذا (٧).

وكانَ إِبْرَاهِيمُ يَنْتَهِزُ كُلَّ فُرْصَةٍ لِإِظْهَارِ حُبِّهِ لِلْمُتَوَكَّلِ وإِخْلاصِهِ لَهُ، فَرُوِيَ عَنْهُ، أَنَّ المُتَوَكَّلَ مَرِضٌ مَرَضَةً خِيفَ عَلَيْهِ مِنْها ثُمَّ عُوْفِيَ وَإِذْ لِلنَّاسِ في الوُصُولِ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ في جُمْلَةٍ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ وَأَنشَدَ قَصِيدَةً في مَدْحِهِ أَعْجَبَ بِها الخَلِيفَةُ وَقَالَ لِلْفَتْحِ صَدِيقِهِ: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَيَنْطِقُ عَن نِّيَّةِ خالِصَةٍ وَوَدٍّ مَحْضٍ، وَمَا قَضَيْنا حَقَّهُ فَتَقَدَّمَ بِأَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ السَّاعَةَ خَمسونَ أَلْفَ

(١) الوافي بالوفيات ١٠٧/٦، وينظر: فوات الوفيات ٤٥/١.

(٢) الديارات ١٥٤.

(٣) ينظر: الطبري حوادث ٢٣٥ هـ.

(٤) ينظر: مروج الذهب ٥/٤.

(٥) ينظر: الطبري ٢٣٢/٩، والأغاني ٨١/١٢.

(٦) ينظر: ديوان المعاني ٢٢٠/٢ - ٢٢١.

(٧) ينظر: الأغاني ٢١١/١٠.

دَرْهَمٍ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بَأْنَ يُؤَلِّيَهُ عَمَلًا سَرِيًّا يَنْتَفِعُ بِهِ (١) .  
وَرُوِيَ أَيْضًا أَنَّ الْمُتَوَكَّلَ (وَلَاهُ دِيْوَانُ الْأَبْنِيَّةِ) (٢) .

وَيَظْهَرُ أَنَّ حُبَّ الْخَلِيفَةِ وَمِثْلَهُ إِلَى ابْنِ الْمُدَبِّرِ لَمْ يُرْضِيَا وَزَيْرُهُ ، وَكَأَنَّهُ  
أَوْجَسَ خِيفَةً مِنْ هَذِهِ الصَّلَةِ لَمَّا كَانَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ مِنْ حَيَوِيَّةٍ وَذَكَاءٍ وَأَقْتَدَارٍ ،  
فَأَهْتَبَلَ فُرْصَةَ إِخْفَاقِ أَخِيهِ أَحْمَدَ فِي عَمَلِهِ - إِذَا صَحَّ - لِلْإِبْقَاعِ بِهِمَا وَالْعَمَلِ  
عَلَى نَكْبَتَيْهِمَا . وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ : (كَانَ أَحْمَدُ بْنُ الْمُدَبِّرِ  
وَلِيَّ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ عَمَلًا ، فَلَمْ يَحْمَدْ أَثْرَهُ فِيهِ ، وَعَمِلَ عَلَى  
أَنْ يَنْكُبَهُ . وَبَلَغَ أَحْمَدُ ذَلِكَ فَهَرَبَ ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ مُنْحَرَفًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ ،  
شَدِيدَ النَّفَاسَةِ عَلَيْهِ بِرَأْيِ الْمُتَوَكَّلِ فِيهِ ، فَأَغْرَاهُ بِهِ ، وَعَرَّفَهُ خَبْرَ أَخِيهِ ، وَادَّعَى  
عَلَيْهِ مَالًا جَلِيلًا ، وَذَكَرَ أَنَّهُ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ أَخِيهِ ، وَأَوْعَرَ صَدْرَهُ عَلَيْهِ حَتَّى أُذِنَ  
لَهُ فِي حَبْسِهِ) (٣) .

لَقَدْ حُبِسَ لِلْسَبَبِ الَّذِي أَتَهَمَ بِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يُخْبِرُنَا فِي شَعْرِهِ - وَهُوَ  
مَحْبُوسٌ - أَنَّهُ كَانَ مَظْلُومًا ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ ظَفَرُوا بِهِ عَنْ حِيلَةٍ ، وَهُوَ يَرْجُو أَنْ  
يَجْمَعَهُ وَإِيَّاهُمْ مَجْلِسٌ لِيُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَيَدْرَأَ عَنْهَا الشُّبُهَاتِ وَلِيُظْهَرَ الْحَقُّ

(١) نفسه ١٥٧/٢٢ - ١٥٨ .

(٢) الوافي بالوفيات ١٠٧/٦ .

(٣) الأغاني ١٥٩/٢٢ ، وينظر: الفرج بعد الشدة ١٢٤/٢ ، وفيه: (وذكر ابن عبدوس  
في أخبار الوزراء أن نجاح بن سلمة حبس إبراهيم بن المدبر مكابدة لأخيه، وذلك  
في أيام المتوكل). من الجدير بالذكر أن الطبري أشار في حوادث ٢٤٥ هـ إلى أن  
نجاح بن سلمة طلب إلى المتوكل أن يدفع إليه قوماً حتى يستخرج له منهم أموالاً،  
ذكر منهم اثني عشر رجلاً، مع أنه قال: إن عددهم نحو من عشرين رجلاً. غير أن  
في الخبر شيئاً آخر، وهو قول عبيد الله بن يحيى للمتوكل يرد على دعوى نجاح:  
يا أمير المؤمنين أراد ألا يدع كاتباً ولا قائداً إلا أوقع بهم..

وواضح من الخبر أن عبيد الله بن يحيى لم يرض بما سعى به نجاح في مصادرة  
الكتاب والقواد، فهل ما رواه صاحب الفرج بعد الشدة غير صحيح، وأنه التبس  
عليه الأمر في هذه الحكاية؟.

وَيَبِينُ، فِينَالَ الْخَائِنُ جَزَاءَهُ، وَلِيَحْكُمَ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرَ أَعْدَائِهِ حَاكِمٌ مُنْصِفٌ  
عَدْلٌ. وَذَكَرَ فِي شَعْرِهِ أَسْمَاءَ بَعْضِ مَنْ كَادُوا لَهُ، وَسَعَوْا بِهِ فَأَوْقَعُوهُ فِي  
مِحْنَتِهِ، فَهُوَ يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ وَجَّهَ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدُونَ النَّدِيمِ  
يَسْأَلُهُ إِذْكَارَ الْمُتَوَكَّلِ وَالْفَتْحِ بِأَمْرِهِ:

وَأَبُو عُمَرَانَ مُوسَى حَنِقٌ حَاقِدٌ يَطْلُبُنِي بِالْإِحْنِ  
وَعُبَيْدُ اللَّهِ أَيْضاً مِثْلُهُ وَنَجَاحُ بِي مُجِدُّ مَا يَنِي

.....  
.....  
مَا رَأَى الْقَوْمُ كَذْبِي عِنْدَهُمْ عَظُمَ ذَنْبِي أَنِّي لَمْ أَخْنِ  
ظَفَرَ الْأَعْدَاءِ بِي عَنْ حِيلَةٍ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُظْفِرَنِي  
لَيْتَ أَنِّي وَهُمْ فِي مَجْلِسٍ يَظْهَرُ الْحَقُّ بِهِ لِلْفِطَنِ  
فَتَرَى لِي وَلَهُمْ مَلْحَمَةٌ يَهْلِكُ الْخَائِنُ فِيهَا وَالذَّنِي  
وَالَّذِي أَسْأَلُ أَنْ يُنْصِفَنِي حَاكِمٌ يَقْضِي بِمَا يُلْزِمُنِي (١)

وَحَاوَلَ ابْنُ الْمُدَبِّرِ - عَلِيٌّ مَا يَظْهَرُ - فِي أَوَّلِ عَهْدِهِ بِالْحَبْسِ أَنْ يَتَجَلَّدَ  
وَيَتَظَاهَرَ بِالصَّبْرِ وَاحْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ. فَأَخَذَ يُعَلِّلُ وَجُودَهُ فِي غِيَابِ السَّجَنِ،  
وَيَتَدَرَّعُ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ لِيَبْدُو مُتَمَاسِكاً قَوِيّاً، وَكَأَنِّي بِهِ يُرِيدُ أَنْ يُقَلِّلَ مِنْ شَأْنِ مَا  
حَاكَهُ لَهُ أَعْدَاؤُهُ مِنْ مَكِيدَةٍ، وَدَبَّرُوا لَهُ مِنْ حِيلَةٍ، فَهُوَ يَقُولُ:

تَسَلَّى لَيْسَ طُولُ الْحَبْسِ عَاراً وَفِيهِ لَنَا مِنَ اللَّهِ اخْتِبَارٌ (٢)  
ويقول:

هُوَ الْحَبْسُ مَا فِيهِ عَلَيَّ غَضَاضَةٌ وَهَلْ كَانَ فِي حَبْسِ الْخَلِيفَةِ مِنْ عَارٍ

(١) الأغاني ٢٢/١٦٨ - ١٦٩.

(٢) الأغاني ٢٢/١٥٩.

أَلَسْتَ تَرَيْنَ الْخَمْرَ يَظْهَرُ حُسْنُهَا  
وَمَا أَنَا إِلَّا كَالْجَوَادِ يَصُونُهُ  
أَوْ الدَّرَّةَ الزَّهْرَاءِ فِي قَعْرِ لُجَّةٍ  
وَبَهَجَتْهَا بِالْحَبْسِ فِي الطِّينِ وَالْقَارِ  
مُقَوْمُهُ لِلْسَّبْقِ فِي طِيٍّ مِضْمَارٍ  
فَلَا تُجْتَلَى إِلَّا بِهَوْلٍِ وَأَخْطَارٍ<sup>(١)</sup>

ويقول:

لَا تُؤَيِّسُنِيكَ مِنْ كَرِيمٍ نَبْوَةٌ  
وَالْحَبْسُ يَحْجُبُنِي وَفِي أَكْنَافِهِ  
فَالسَّيْفُ يَنْبُو وَهُوَ عَضْبٌ بَاتِرٌ  
مِنِّي عَلَى الضَّرَاءِ لَيْثٌ خَادِرٌ<sup>(٢)</sup>

وبعد أن طال حبسه، وتعدّر خلاصه، بسبب عضل عبيد الله  
وتشدده، أحس بشدة وطأة الحبس عليه، وثقل ما ينوء به من حديد،  
فتغيرت صورة السجن لديه، وبدت عزمته تضعف، وقواه تخور، وصبره  
ينفذ، وإذا به يقول في مقدمة قصيدة له وجهها إلى أحد مقربيه يناشده فيها  
ويسأله إذكارة الخليفة وصديقه بأمره:

كَمْ تَرَى يَبْقَى عَلَى ذَا بَدَنِي  
أَنَا فِي أُسْرِ وَأَسْبَابِ رَدَى  
قَدْ بَلِي مِنْ طَوْلٍ هَمٌّ وَضَنِي  
وَحَدِيدِ فَادِحٍ يَكْلِمُنِي<sup>(٣)</sup>  
وَأَحْسَ أَخُوهُ أَحْمَدُ بِمَا يَلْقَاهُ  
وَيُؤَيِّسُهُ عَزِيمَتُهُ بِقَوْلِهِ:  
أَخُوهُ مِنْ عَنَتِ السَّجَنِ، فَأَخَذَ يُصْبِرُهُ

أَبَا إِسْحَاقَ إِنْ تَكُنُ اللَّيَالِي  
فَلَمْ أَرْ صَرْفَ هَذَا الدَّهْرِ يَنْحُو  
عَظْفَنَ عَلَيْكَ بِالْخَطْبِ الْجَسِيمِ  
بِمَكْرُوهِ عَلَى غَيْرِ الْكَرِيمِ<sup>(٤)</sup>

(١) نفسه ١٦٠/٢٢.

(٢) نفسه ١٥٩/٢٢ - ١٦٠.

(٣) نفسه ١٦٨/٢٢.

(٤) المتحلل ٢٦٩.

ولم تتخلّف صديقته المَغْنِيَّة (عَرِيبُ) من مُساندته ومُساعدته في محتته هذه، فَسَأَلَت الخليفةَ في أمره، فوعدها بما تُحِبُّ، فكتبت إلى إبراهيم بذلك فأجابها مُثنياً عليها، وشاكراً لها صَنِيعها<sup>(١)</sup>.

ويُظهِرُ أَنَّ كُلَّ ما بُدِّلَ مِنْ مَسْعَى فِي سَبِيلِ إِطْلَاقِهِ مِنَ الْحَبْسِ لَمْ يُجَدِّ نَفْعاً، وَبَقِيَ الرَّجُلُ حَبِيساً، يُلاقِي الضِّيقَ والشَّدَّةَ، فَفَرَعَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مُسْتَعِيثاً، وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ سَأَلَهُ فِيهَا أَنْ يُكَلِّمَ الخليفةَ فِي شَأْنِهِ، وَجَوَّدَ هَذَا الْمَسْأَلَةَ فِي أَمْرِهِ وَتَحَدَّى الوَازِرَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى (وَبَدَّلَ أَنْ يَحْتَمِلَ فِي مَالِهِ كُلِّ ما يُطالَبُ بِهِ فَأَعفاهُ المَتَوَكِّلُ مِنْ ذَلِكَ وَوَهَبَهُ لَهُ)<sup>(٢)</sup>.

وَإِذَا كَانَ الْحَبْسُ قَدْ أَضْرَّ بِجَسْمِ ابْنِ المَدْبَرِ وَنَفْسِهِ وَعَمَلِهِ فَإِنَّهُ عَادَ عَلَى الأَدبِ بِنِماذِجٍ جَيِّدَةٍ مِنْ شِعْرِ السُّجُونِ، وَفِي هَذَا يَقُولُ أَبُو الفَرَجِ: (وَإِبْرَاهِيمَ فِي حَبْسِهِ أَشعارٌ كَثيرةٌ حِسانٌ مُختارةٌ)<sup>(٣)</sup>.

وَيُبدُرُ أَنَّ بَعْضَ مُناوِئِي إِبراهيمَ كانوا فِي أَيامِ نَكْبَتِهِ يَسْعَوْنَ عَلَيْهِ. جاءَ فِي الأَغاني أَنَّ عيسىَ بْنَ إِبراهيمَ النُّصْرانيِّ المُكَنَّى أبا الخَيْرِ<sup>(٤)</sup>، كاتَبَ

---

(١) ينظر: الأغانى ١٦٢/٢٢.

(٢) نفسه ١٦١/٢٢، وينظر: الفرج بعد الشدة ١٢٤/٢، وفيه: أن سبب خلاصه غير ما ذكره أبو الفرج، وينظر: الشعر الرقم (١٢).

(٣) الأغانى ١٥٩/٢٢.

(٤) كذا في الأغانى، ولعله أبو نوح عيسى بن إبراهيم، كاتب الفتح بن خاقان، الذي قبض عليه صالح بن وصيف مع أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد في آخر عهد المعتز في أوائل جمادى سنة ٢٥٥ هـ للمطالبة بما ليدفع منه للأتراك، ثم أمر صالح في يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان في تلك السنة وذلك في عهد المهتدي بضرب أحمد بن إسرائيل وأبي نوح بالسياط، فضربا حتى ماتا في اليوم نفسه، (ينظر: ديوان البحري ٢٣/١ الحاشية) ولعل أبا نوح هذا قد انتقل من كتابة الفتح بعد مصرعه في سنة ٢٤٧ إلى سعيد بن صالح.

سعيد بن صالح<sup>(١)</sup>، (كان) يسعى على إبراهيم بن المدبر في أيام نكبته فلما زالت، ومات سعيد نكب عيسى بن إبراهيم وحيس ونهبت داره فقال فيه إبراهيم...<sup>(٢)</sup>، كما أن بعض من كان يصفيه الودد قد تقاعس عن إعانتته والأخذ بيده في نكبته، فقد روي عن إبراهيم أنه كان يقول: (نكبنا نكبة من نكباتنا، فسقط من إخواننا من كنا نجعل من أهل الودد، فكتبت إلى بعضهم:

وصديق تراه حلواً أنيقاً مؤنساً ملطفاً حفيماً شفيقاً  
ثم لما رمانى الدهر بالغد ظمة منه صار البعيد السحيقاً)<sup>(٣)</sup>  
غير أن بعضاً آخر قد أسف لما أصاب بني المدبر من محنة، وفرح لما ردتهم نعمة فكتب إلى الأخوين كتاباً بهذا المعنى<sup>(٤)</sup>.

ويظهر أن إبراهيم اتخذ بغداد دار إقامة في أيام نكبته، أو بعدها مباشرة على الأصح<sup>(٥)</sup>.

ولا نعرف على وجه الدقة المدة التي قضاها بدون عمل بعد إطلاق سراحه وخروجه من الحبس، ولكن أبا الفرج أشار إلى أن (جعفر بن قدامة قال:

ولي إبراهيم بن المدبر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغور الجزرية،

(١) لعله سعيد بن صالح الحاجب، اشتهر أمره منذ عهد المتوكل، وقد عهد إليه أمر المستعين بعد خلعه وقدمه إلى سامراء فذبحه في القاطول، وفي سنة ٢٥٦ أرسل إلى البصرة من قبل الخليفة لحرب صاحب الزنج (عن شعر ابن المعتز القسم الأول ٥٣٤/١).

(٢) الأغاني ١٧٥/٢٢.

(٣) إعتاب الكتاب ١٦٢.

(٤) ينظر: أدب الكتاب ١٥٣.

(٥) ينظر: الأغاني ١٨٢/٢٢.

فكان أكثرُ مقامه بِمَنبَجٍ...<sup>(١)</sup>. وذكر الصولي خبرين في كتابه (أخبار البحري) أحدهما:

أن (أمل) جارية الفتح بن خاقان كانت تُنازِعُ البحريَّ في ضياعٍ أقطعها من ضياع الفتح، فصارتُ إلى إبراهيم بن المدبر، وهو يلي الناحية، فخاف أن يُعينها عليه، فكتب إليه...<sup>(٢)</sup>.

وثانيهما: أن البحريَّ كان يلزمُ إبراهيم بن المدبر في كلِّ سنة أن يسقط أكثرَ خراجِهِ أو يؤدِّيَهُ عنه، فأرادَ شراءَ ضيعةٍ، واستماحَ إبراهيم، فلأَمَهُ لِكثرةِ ضياعِهِ، وقال: تكفيكَ ضياعُكَ فقد كَثُرَتْ وعظمتْ، فأنشدته... إلى أن بلغَ إلى قوله... فأمرَ له بِإتمامِ ماله<sup>(٣)</sup>.

وأرَّخَ مُحَقِّقُ ديوانِ البحريِّ القصيدتين في سنة ٢٥٧ هـ<sup>(٤)</sup>، وأكبرُ الظَّنُّ أن إقطاعاتِ البحريِّ كانت في بلادِ الشَّامِ، ولعلَّها في مدينتِهِ (مَنبَجٍ)، أو بالقربِ منها.

وفي أخبارِ البحريِّ عن عبدِ اللهِ بن المعتزِّ قال: (كانَ المُعتزُّ قد أقطعني إقطاعاً، وجاورني في بعضِهِ البحريُّ، فسألني أن أهبَّ له الضيعةَ التي تُجاوِزُهُ، فوعدتُهُ، فَتَحَمَّلَ عليَّ أبِي، وَعَمِلَ في ذلكَ أشعاراً... فقال لي: يا عبدَ اللهِ، اقضِ حاجةَ البحريِّ، فوهبتُ له الضيعةَ، فأنشأَ البحريُّ قصيدةً في مدحِ المُعتزِّ أشارَ فيها إلى مكانِ الضيعةِ في قوله:

وجاورَ رَبَعي بالشَّامِ رباعَهُ وليسَ الغنى إلا مُجاوِرةُ البحرِ<sup>(٥)</sup>  
وأرَّخَ مُحَقِّقُ الديوانِ القصيدةَ في سنة ٢٥٣ هـ.

(١) الأغاني ١٧٦/٢٢، تشمل الثغور الجزرية: أنطاكية ومرعش.

(٢) ١١٨.

(٣) ١١٩.

(٤) ينظر: ديوان البحري ٤٢٦، ١٦٤٤ الحاشية.

(٥) ديوان البحري: ١٠٠٧.

وواضح من قول أبي الفرج أن ابن المُدبِّر ولي الثُّغور الجَزْريَّة بعقب نكبته وزوالها، وأنَّ الذي أمر بإخراجه من الحبس هو المتوكِّل، ونحن لا نعرف المدة التي قضاها في الحبس، ولكنه أطلق قبل مقتل المتوكِّل في سنة ٢٤٧ هـ.

ومعلوم أن المعتز مكث في الخِلافة من سنة ٢٥٢ هـ - إلى ٢٥٥ هـ<sup>(١)</sup>، وواضح كذلك في الخبر الأول الذي ذكره الصُّولي أن إقطاع الفتح الذي صار إلى إحدى جواربه كان بعد مقتله مع المتوكِّل في سنة ٢٤٧ هـ، وقد لا يبعد أن يكون الخبر الثاني كذلك حدث للبحرِّي بعد مقتل المتوكِّل والفتح؟.

وواضح أن تاريخ القصيدتين اللتين جاء خبرهما في أخبار البحرِّي في سنة ٢٥٧ هـ، لا يقوم على سند قوي؛ لأن ابن المُدبِّر في سنة ٢٥٧ هـ رجع هارباً من البصرة عند اجتياح الزنج لها<sup>(٢)</sup>، وليس هناك دليل على أن الرجل استمر في ولايته الثُّغور الجَزْريَّة بعقب زوال نكبته إلى سنة ٢٥٧ هـ؛ لأن ولايته البصرة تنقض هذا وتفنده.

وفي أخباره أنه ولي البصرة، ثم عُزل عنها، ولكن متى وليها؟ وما العمل الذي عهد إليه في هذه الولاية؟ ومتى عُزل عنها؟. ذكر ابن الأبار في أعقاب حديثه عن حبسه في عهد المتوكِّل وخلاصه منه قائلاً:

وولي إبراهيم بعد ذلك البصرة والأهواز، وأسرهُ صاحب الزنج فهرب منه<sup>(٣)</sup>. وجاء في الأغاني عن أبي الفياض سوار بن أبي شراعة قوله: (كان إبراهيم بن المُدبِّر يتولى البصرة، وكان مُحسنًا إلى أهل البلد إحسانًا

(١) ينظر: البحرِّي في سامراء بعد عصر المتوكِّل ٤٩ - ٦٠.

(٢) ينظر: الطبري: حوادث ٢٥٦، ٢٥٧ هـ.

(٣) إعتاب الكتاب ١٦٢.

يَعْمُهُمْ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ نَفْعُهُ، وَيَخْصُنَا مِنْ ذَلِكَ بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَأَجْزَلِ نَصِيبٍ، فَلَمَّا صُرِفَ عَنِ الْبَصْرَةِ شَيْعُهُ أَهْلُهَا، وَتَفَجَّعُوا لِفِرَاقِهِ وَسَاءَهُمْ صَرْفُهُ، فَجَعَلَ يَرُدُّ النَّاسَ مِنْ تَشْيِيعِهِمْ عَلَى قَدْرِ مَرَاتِبِهِمْ فِي الْأَنْسِ بِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا أَبِي، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا شُرَاعَةَ، إِنَّ الْمُشِيعَ مُودَّعٌ لَا مَحَالَةَ، وَقَدْ بَلَغْتَ أَقْصَى الْغَايَاتِ، فَبِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَنْصَرَفْتَ... فَوَدَّعَهُ أَبِي، ثُمَّ قَالَ:

يَا أَبَا إِسْحَاقَ سِرُّ فِي دَعَاةٍ وَامْضِ مَصْحُوبًا فَمَا مِنْكَ خَلْفٌ (...)(<sup>١</sup>).

وَصَرَفُ الرَّجُلِ مِنْ عَمَلِهِ أَوْ عَزْلُهُ عَنْهُ جَعَلَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ يَأْسَفُ لَهُ، وَيَتَحَسَّرُ عَلَى مَا أَصَابَهُ(<sup>٢</sup>)، بَلْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى تَهْنِئَتِهِ بِهَذَا الْعَزْلِ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَهُ أَعْلَى وَأَفْضَلُ:

لِيَهْنِئَ أَبَا إِسْحَاقَ أَسْبَابُ نِعْمَةٍ مُجَدَّدَةٍ بِالْعَزْلِ، وَالْعَزْلُ أَنْبَلُ شَهِدْتُ لَقَدْ مَنُّوا عَلَيْكَ وَأَحْسَنُوا لِأَنَّكَ بَعْدَ الْعَزْلِ أَعْلَى وَأَفْضَلُ(<sup>٣</sup>)

وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي حَوَادِثِ ٢٥٦ هـ فَقَالَ:

(حَتَّى وَافُوا (أَيَ الزَّنْجِ) الْأَهْوَاذَ، وَبِهَا يَوْمِيذٌ سَعِيدٌ بِنُ يَكْسِينِ وَالِإِلَيْهِ حَرْبُهَا، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُدَبِّرِ، وَإِلَيْهِ الْخَرَاجُ وَالضِّيَاغُ، فَهَرَبَ النَّاسُ مِنْهُمْ أَيْضًا فَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ كَثِيرٌ أَحَدٍ... وَتَبَّتْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ فِيمَنْ

(١) ١٨٠/٢٢، وينظر المصدر نفسه ٢٣/٢٣ - ٢٤.

(٢) ينظر: الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٢٧، والفرج بعد الشدة ٥٧/٥، وديوان المعاني ٢/٢٣٢، والبصائر والذخائر ١/٣٨٨، والمستطرف ١/٢٣٥.

(٣) نهاية الأرب ٥/١٣٩، والوافي بالوفيات ٦/٧٧، وينظر: المستطرف ٢/٦٨ - ٦٩ جاء في الوافي: (وكتب - أي إبراهيم بن عيسى - إلى إبراهيم بن المدبر، وقد انتزع إسماعيل بن بلبل من يده عملاً كان معه).

كَانَ مَعَهُ مِنْ غِلْمَانِهِ وَخَدَمِهِ، فَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ، فَاحْتَوَوْهَا وَأَسْرَوْا إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُدَبِّرِ، بَعْدَ أَنْ ضُرِبَ ضَرْبَةً عَلَى وَجْهِهِ وَحَوُوا كُلَّ مَا كَانَ يَمْلِكُ مِنْ مَالٍ وَأَثَاثٍ وَرَقِيقٍ وَذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ<sup>(١)</sup>.

وَذَكَرَ فِي حَوَادِثِ ٢٥٧ هـ تَخَلُّصَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْحَبْسِ وَمَعَهُ ابْنُ أَخِي لَهُ يُعْرَفُ بِأَبِي غَالِبٍ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ<sup>(٢)</sup>.

يَتَضَحُّ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ مَا أَسَارَ إِلَيْهِ ابْنُ الْأَبَارِ مِنْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ تَوَلَّى الْبَصْرَةَ بِعَقِبِ تَخَلُّصِهِ مِنْ نَكْبَتِهِ فِي عَهْدِ الْمُتَوَكِّلِ، غَيْرُ صَحِيحٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ وَلِيَ - كَمَا تَقَدَّمَ - الثُّغُورَ الْجَزْرِيَّةَ.

كَمَا أَنَّ الْمُدَّةَ الَّتِي قَضَاهَا فِي وِلَايَةِ الْبَصْرَةِ غَيْرُ وَاضِحَةٍ كَذَلِكَ، فَهَلْ بَقِيَ وَالْيَا عَلَيْهِا وَعَلَى الْأَهْوَاذِ إِلَى أَنْ أَسْرَهُ الزُّنْجُ؟ أَوْ أَنَّهُ شَغَلَ هَذِهِ الْوِلَايَةَ مَرَّتَيْنِ؟ فَمَا ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ عَنْ أَحَدِ مُقَرَّبِي ابْنِ الْمُدَبِّرِ فِي الْبَصْرَةِ مِنْ تَشْيِيعِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَهُ - عِنْدَ عَزْلِهِ - لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْسَجِمَ مَعَ الْحَالِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا عِنْدَ اجْتِيَاكِ الزُّنْجِ لَهَا وَاحْتَوَائِهَا مِنْ قِبَلِهِمْ، فَمِنْ غَيْرِ الْمَعْقُولِ أَنْ يَخْرُجَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ - وَهُمْ فِي قَبْضَةِ الزُّنْجِ - فِي تَشْيِيعِ الرَّجُلِ؛ لِأَنَّ الْحَالَ تَسْتَدْعِي أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَمْنٌ وَاسْتِقْرَارٌ وَهَدْوٌ، وَهَذِهِ كُلُّهَا غَيْرُ مُتَوَفَّرَةٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ!

لَقَدْ كَانَ مَوْقِفُ ابْنِ الْمُدَبِّرِ وَصُمُودُهُ الرَّائِعَ أَمَامَ الزُّنْجِ نُمُودَجًا حَيًّا لِرَجُلِ الْمَسْئُولِيَّةِ؛ وَلِهَذَا اتَّخَذَ الْأَدْبَاءُ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ الْمَسْئُولِ وَمِنْ الضَّرْبَةِ فِي وَجْهِهِ مَنْطَلَقًا لِلْإِشَادَةِ بِالرَّجُلِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>. كَمَا اتَّخَذَ بَعْضُ

(١) ٤٧٢/٩.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري ٤٧٧/٩، والكمال ٢٤٢/٧.

(٣) ينظر: ديوان البحري ٢٨٩، ١٦٩٣، ١٦٩٤، وأخبار البحري ١١٣ - ١١٤،

وديوان ابن الرومي ١٩٧١.

آخِرُ مِنْهُمَا مُنْطَلِقاً لِلتَّنْدِيدِ بِهِ وَالْحَطُّ مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

وأَجْمَلَ الصَّفْدِي بَعْضَ مَا شَغَلَهُ هَذَا الرَّجُلُ بَعْدَ صَرْفِهِ مِنَ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ: (وَلَمْ يَزَلْ فِي رُتْبَةِ الْوُزَرَاءِ وَأَحْضَرَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ لِلْوِزَارَةِ فَاسْتَعْفَى لِعَظْمِ الْمُطَالِبَةِ<sup>(٢)</sup>)، فَاسْتَكْتَبَهُ الْمُعْتَمِدُ لِابْنِهِ الْمُفَوَّضِ وَضَمَّ إِلَيْهِ دَوَائِنَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُعْتَمِدَ دَفَعَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ بِتَكْرِيَتٍ وَقَالَ لِقَوَادِهِ مِمَّنْ مَعَهُ: مَا اسْتَوَزَرْتُ بَعْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى وَزَيْراً أَرْضَاهُ غَيْرَ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَخَرَجَ إِلَى الْمَوْصِلِ لِيَلْتَقِيَ جَيْشَ أَبِي طُولُونَ<sup>(٣)</sup>)، ثُمَّ إِنَّ إِسْحَاقَ بْنَ كُنْدَاجَ مُتَوَلِّيَ الْمَوْصِلِ وَدِيَارَ رَبِيعَةَ قَبَضَ عَلَى الْقَوَادِ بِحِيلَةٍ دَبَّرَهَا وَأَرَادَ الْقَبْضَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَحَدَرَهُ إِلَى بَغْدَادَ وَحَبَسَهُ إِلَى أَنْ رَضِيَ الْمُؤَفَّقُ عَنْهُ وَهُوَ بِوِاسِطَ وَخَلَعَ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>.

وَالجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ فِي دِيْوَانِ أَبِي الرَّؤْمِيِّ قَصِيدَةً جَاءَ عُنْوَانُهَا عَلَى هَذَا النِّحْوِ: (وَقَالَ لِأَبْنِ الْمُدَبِّرِ لَمَّا قُلِّدَ مِصْرَ، وَقَدْ كَانَ مِنْهُ عَلَى مَوَاعِيدِ).

وَأَكْبَرُ الظَّنُّ أَنَّ ابْنَ الرَّؤْمِيِّ قَدْ أَيْدَ اسْتِيزَارَ ابْنَ الْمُدَبِّرِ فِي سَنَةِ ٢٦٩ هـ وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي عَزَمَ فِيهَا الْمُعْتَمِدُ عَلَى الْهَرَبِ إِلَى مِصْرَ، وَحَسِبَ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَتِمُّ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ، وَفِيهَا إِشَارَاتٌ إِلَى ذَلِكَ مِنْهَا قَوْلُهُ:

وَطِئْتَ أبا إِسْحَاقَ أَثْبَتَ وَطَاقَةً وَأَثْقَلَهَا ثِقْلًا عَلَى رَغْمِ رَاغِمِ

(١) ينظر: ديوان ابن الرومي ٨١٣، وزهر الآداب ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) جاء في اللطائف والظرائف ١٤، (وكان إبراهيم بن المدبر إذا عرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابي:

تَلومُ عَلَى تَرْكِ الْغِنَى بِأَهْلِيَّةٍ نَفَى الدَّهْرُ عَنْهَا كُلَّ طَرْفٍ وَتَالِدِ  
(...).

(٣) كان هذا في سنة ٢٦٩، (الأعلام ٥٦/١).

(٤) الوافي بالوفيات ١٠٧/٦، وينظر: إعتاب الكتاب ١٦٢، ومعجم الأدباء ٢٢٦/١، ومختصر التاريخ ١٦٣.

وَهُنَّتَ مَا أُعْطِيَتْهُ مِنْ كَرَامَةٍ      وَهُنَّتَكَ الْمِعْطَاكَ بَنِي الْمَكَارِمِ  
سَبَقَتْ بِهِ الْكُتَّابَ عَفْوًا كَسَبَقَهُ      بَلِ السَّادَةَ الْأَمْلاكَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ  
وَأَصْبَحْتُمَا مُسْتَبْشِرَيْنِ كِلَاكُمَا      بِصَاحِبِهِ قَدْ فَازَ فَوْزَةً غَانِمِ

أَمَّا وَالْهَدَايَا الدَّامِيَاتِ نُحُورُهَا      ضُحَى وَالْمَطَايَا الدَّامِيَاتِ الْمَنَاسِمِ  
لَقَدْ أَيَّدْتُ مِنْكَ الْخِلَافَةَ طَوْدَهَا      بِرُكْنٍ وَثِيقٍ غَيْرِ وَاهِيِ الدَّعَائِمِ  
كَأَنِّي بِمِصْرٍ قَدْ تَجَلَّيْتُ طَالِعًا      عَلَيْهَا بِوَجْهِ مُسْفِرٍ غَيْرِ قَاتِمِ (١)

ويظهر أن آخر عمل له كان على ديوان الضياع، قال المرزباني:  
(لَمَّا قَلَّدَ عُيَيْدُ اللَّهِ بَنُ سَلِيمَانَ عِنْدَ تَقْلُدِهِ الْوِزَارَةَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُدَبِّرِ دِيْوَانَ  
الضِّيَاعِ بِبَغْدَادَ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، فَتَقَصَّ إِبْرَاهِيمُ كِتَابَ  
الدَّوَابِّ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ، وَتُوفِّيَ إِبْرَاهِيمُ فِي عَقَبِ ذَلِكَ فَقَالَ مُحَمَّدُ  
الْمَاسِحُ... (٢)). ومما يؤيد هذا الخبر الذي رواه الحصري والذي جاء  
فيه:

(وَدَخَلَ (أَبُو الْعِيَاءِ) إِلَى عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ سَلِيمَانَ، فَشَكَا إِلَيْهِ حَالَهُ،  
فَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ كَتَبْنَا لَكَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُدَبِّرِ؟ فَقَالَ: كَتَبْتُ إِلَى رَجُلٍ  
قَدْ قَصَرَ مِنْ هَمَّتِهِ طَوْلُ الْفَقْرِ، وَذُلُّ الْأَسْرِ، وَمُعَانَاةُ الدَّهْرِ، فَأَخْفَقْتَهُ فِي  
طَلْبَتِي (٣).

(١) ديوان ابن الرومي ٢٤٠٣ - ٢٤٠٤.

(٢) معجم الشعراء ٤٠٩، وينظر: معجم الأدباء ١/٢٢٧. مما ينبغي ذكره أن بروكلمان أشار في ترجمة إبراهيم أنه كان والياً على خراج فلسطين للمهتدي بالله (تاريخ الأدب العربي ١١٧٢)، والصحيح أن الذي ولي ذلك أحمد بن المدبر (مروج الذهب ٤/١٠٠).

(٣) زهر الآداب ١/٢٩٦.

هذه الأعمال التي تَقَلَّبَ فيها ابنُ المُدَبِّرِ هي التي حَمَلَتْ بعضَ  
مُترجميه على القولِ فيه:

(من وجوهِ كتابِ أهلِ العِراقِ ومُتقدِّمِهِم وذَوِي الجَاهِ والمتصرِّفِينَ في  
كِبَارِ الأَعْمَالِ ومذكورِ الولاياتِ) (١).

إنَّ حَيَاةَ الرَّجُلِ - كما تَقَدَّمَ - لم تكنْ على نَمَطٍ واحدٍ وإنَّما كان  
يَعْتَوِرُها ما يَعْتَوِرُ حَيَاةَ أيِّ رجلٍ طَمُوحٍ ذي هِمَّةٍ في ظروفٍ مختلفَةٍ  
مُتقلِّبَةٍ، ومن غيرِ شكٍّ في أنَّه قد تَمَتَّعَ بالحياةِ تَمَتُّعاً يتناسبُ ومركزه  
الاجتماعيِّ والسِّيَاسيِّ والأدبيِّ.

لقد كان الميلُ إلى الأدبِ وأهله جانباً من مُتَمِّعِ الرَّجُلِ، ومن أجلِ  
ذلك كَثُرَ المتصلونُ به من الشعراءِ والأدباءِ، كما كَثُرَتْ أخبارُهُ مَعَهُم كَثْرَةً  
تَلَفَّتْ النظرَ، وكانت دارُهُ مَأَلِفاً لَهُم ومُتندىً يجتمعونَ فيه، وقد رُوِيَ عن  
الأخفش قولُهُ:

(استهدى إبراهيمُ بن المدبرِ المُبرِّدَ جليساً يجمعُ إلى تأديبِ ولدهِ  
الإمتاعَ بيناسه فَنَدبني لذلك...) (٢). ويظهرُ أنَّ إلحاحَ الشعراءِ وطَمَعَهُم  
في الحصولِ على الجوائزِ قد حَمَلَا ابنَ المُدَبِّرِ على اتِّخَاذِ حاجِبٍ له  
صَغْبٍ، لا يُسهِّلُ الدخولَ إليه في كلِّ رَقِيتٍ، ولهذا شكَّا غيرَ واحدٍ من  
الشعراءِ هذا الحاجِبَ بلْ هَجَّوهُ وأكثرُوا من هجائه (٣). كما كان يَسْتَمْتَعُ  
بالغناءِ، ويأْنَسُ بالنُّدْماءِ، وَيَشْغَفُ بالجوارِي، وَيَعْقُدُ مَجَالِسَ الأُنْسِ  
والشُّرابِ في داره على الشاطِئِ في (المَطِيرَةِ) (٤)، وهي «قريةٌ من نواحي

(١) الأغاني ١٥٧/٢٢، وينظر: معجم الأدباء ١/٢٢٧.

(٢) البصائر والذخائر ٣/٤٩٦، وينظر: قطب السورر ٢٩٦.

(٣) ينظر: رسائل الجاحظ ٣٧/٢، وديوان البحري ١٠٦٦، ٢٣١٧، ومعجم الأدباء

١/٢٢٩، ٤/٣، والوافي بالوفيات ١٠٩/٦.

(٤) ينظر: الأغاني ١٦٥/٢٢.

(سامراء) كانت في مُتَنَزَّهَاتِ بَغْدَادَ وَسَامِرَاءَ<sup>(١)</sup>. فَكَانَ مِنْ مُغَنِيهِ الْمَفْضَلِينَ أَبُو الْعَيْسَى بْنِ حَمْدُونَ الَّذِي كَانَ يَحْضُرُ مَجَالِسَ أَنَسِهِ، فَيَسْتَمِعُ إِلَى غِنَائِهِ وَيُنَادِيهِ، وَبَلَغَ حُبَّهُ لِغِنَائِهِ أَنَّهُ كَانَ يَتَرَاءَى لَهُ ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ<sup>(٢)</sup>.

كَمَا كَانَ يَسْتَمِعُ بِغِنَاءِ تُحْفَةٍ وَبِدْعَةٍ وَكِرَاعَةٍ وَنَبْتٍ وَسَوَاهِنَ مِنَ الْجَوَارِي الْمَغْنِيَاتِ، فَكَانَ يُطْلِقُ نَفْسَهُ عَلَى سَجِيَّتِهَا، أَوْ قُلَّ كَانَ يَلْبَسُ لِبَاساً آخَرَ غَيْرَ الَّذِي كَانَ يَلْبَسُهُ فِي حَالِ الْجَدِّ وَالْوَقَارِ، فَيُقْبَلُ عَلَيْهِنَّ بِنَظَرِهِ وَمَزْحِهِ وَتَجَمُّشِهِ، وَكَثِيراً مَا تَفْتَقُّ تِلْكَ الْمَجَالِسُ الْغِنَائِيَّةَ قَرِيحَتَهُ الشَّعْرِيَّةَ فَيُسَجَّلُ مَا يَحْدُثُ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ فِيهَا مِنْ أُمُورٍ<sup>(٣)</sup>.

وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ حُبُّهُ لِكُبْرَى مُغْنِيَّاتِ ذَلِكَ الْعَصْرِ - وَهِيَ عَرِيبٌ - يَفُوقُ حُبَّ كُلِّ مَنْ اتَّصَلَ بِهِنَّ مِنَ الْمَغْنِيَّاتِ، كَمَا أَنَّ أَخْبَارَهُ مَعَهَا تَفُوقُ أَخْبَارِ سِوَاهَا، وَهَذَا مَا جَعَلَ أَبَا الْفَرَجِ يَقُولُ فِي مَقْدَمَةِ تَرْجُمَةِ إِبْرَاهِيمَ: (وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَرِيبَ حَالٌ مَشْهُورَةٌ كَانَ يَهْوَاهَا، وَتَهْوَاهُ، وَلَهُمَا فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ، قَدْ ذَكَرْتُ بَعْضَهَا فِي أَخْبَارِ عَرِيبَ، وَأَذْكَرُ بَاقِيَهَا هَاهُنَا)<sup>(٤)</sup>.

وَصِلَّةُ ابْنِ الْمُدَبِّرِ بِعَرِيبَ قَدِيمَةٌ تَرْجِعُ إِلَى حَدَاثَتِهِ، فَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ جَيْشِ الْمَأْمُونِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَهُوَ حَدَّثَ، وَرَاهَنَ بَعْضَ لِدَاتِهِ أَنَّ يُنْشَدَ شَعْرَ بَعْضِهِمْ فِي عَرِيبَ الَّتِي كَانَتْ تُرَافِقُ الْجَيْشَ، وَالَّتِي فَطِنَتْ

(١) سامراء في أدب القرن الثالث الهجري ٢٣.

(٢) ينظر: الأغاني ٢٢/١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢٢/١٦٢، ١٦٤، ١٨٤.

(٤) الأغاني ٢٢/١٥٧. عَرِيبٌ: (هي عَرِيبُ الْمَأْمُونِيَّةِ وَوُلِدَتْ سَنَةَ ١٨١ هـ وَهِيَ شَاعِرَةٌ،

مَغْنِيَّةٌ، أَدْبِيَّةٌ، مِنْ أَعْلَامِ الْعَارِفَاتِ بِصَنْعَةِ الْغِنَاءِ وَالضَّرْبِ عَلَى الْعُودِ، قِيلَ: هِيَ بِنْتُ

جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبِرْمَكِيِّ، نَشَأَتْ فِي بَغْدَادَ، وَأَعْجَبَ بِهَا الْمَأْمُونُ فَقَرَّبَهَا حَتَّى

نَسَبَتْ إِلَيْهِ، مَاتَتْ بِسَامِرَاءَ سَنَةَ ٢٧٧ هـ، (عَنْ الْأَعْلَامِ ١٩/٥).

إلى أن السبب في هذا الإنشاد هو الرهان، ومن يدرى فلعل تلك الحادثة هي البدء في العلاقة بينهما.

إن أخبارهما تُصور ما كان بينهما من علاقة حبٍ طاغية، وما جرى لهما من الصفاء والهناء، كما تعكس ما كان يتأب تلك العلاقة من حالات الفتور والجفاء. لقد كان يرتاح إلى عريب، ويأنس بمجالسها، ويلذ غناءها، ويتفقد أحوالها، ويسبغ عليها من الهدايا والهبات الشيء الكثير. ولم تكن هي بأقل عناية منه، وتفقداً لأمواره، حتى قيل إنه كان في إصبع إبراهيم خاتمان وهبتهما له، وكانا مشهورين لها<sup>(١)</sup>.

لقد كان يظهر من الاحتفاء بمقدمها ما لا مزيد عليه، حتى كان يخرج إليها حافياً، ويقبل الأرض بين يديها<sup>(٢)</sup>.

لقد حفظ لنا الأغاني نماذج من رسائلها إليه، كما حفظ لنا نماذج من شعره فيها، ويبدو أن العلاقة بينهما استمرت أمداً طويلاً، ثم فترت وربما انتهت بعد أن امتدَّ بهما الزمن إلى أرذل العمر، وضاعت الحال بالرجل، فقد روي عنه قوله:

(كنتُ أتعشُّقُ عريبَ دهرًا طويلاً، وأنفقتُ عليها مالاً جليلاً. فلما قصدني الزمان، وتركتُ التصرف، ولزمتُ البيت، كانت هي أيضاً، قد أسنت وتابت من الغناء، وزمنت)<sup>(٣)</sup>.

صفاته:

لم نقف على شيء يتعلَّق بصفاته الخلقية، لا في الأخبار التي رويت عنه، ولا في مدائح الشعراء وأهاجيمهم له، ولكن جاء في الرسالة العذراء

(١) ينظر: الأغاني ١٦٤/٢٢.

(٢) نفسه ١٧٨/٢٢.

(٣) نشوار المحاضرة ٢٧٠/١.

المنسوبة إليه في صفات الكتاب المحموده (لأن الحكماء قد شرطوا في صفات الكتاب:

اعتدال القامة، وصغر الهامة، وخفة اللهازم، وكثافة اللحية، وصدق الحس، ولطف المذهب، وحلاوة الشمائل، وخفة الإشارة، وملاحة الزي... (و) أن يكون الكاتب بهي الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة عطر الرائحة، دقيق الذهن، صادق الحس، حسن البيان، رقيق حواشي اللسان، حلو الإشارة، مليح الاستعارة، لطيف المسلك، مستفرد المركب، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة، متفاوت الأجزاء، طويل اللحية، عظيم الهامة...<sup>(١)</sup>.

وأكبر الظن أن الرجل كان يتحلى بهذه الصفات أو أغلبها، ولو كان فيه شيء مما يخالف ما في هذا النص لنال منه من هجاء من الشعراء وخاصة ابن الرومي.

وفي أخباره إشارات إلى الصفات الخلقية التي جاءت في تضاعيف هذا النص أيضاً.

فقد كان دمث الخلق، سمح الطبع، حلو الشمائل، ومن أجل هذا كثر أخطائه وأصفاؤه، من فئات المجتمع المختلفة.

كما كان بارعاً في عمله، متقناً له، معروفاً بمرونته الإدارية وقدرته الإبداعية ولهذا تقلب في جليل الأعمال ومذكور الولايات - كما تقدم -. وكان بعض الخلفاء قد اثنى عليه وعلى قدرته في إدارة شؤون الخلافة حين استوزره - كما سلف -. .

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٢٠٢/٤ - ٢٠٣، وينظر: مجلة الأستاذ العدد الثاني ١٩٧٨ - ١٩٧٩ ص ٥٤٧ - ٥٤٨. الهامة: الرأس. اللهزمتان: ناتان تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدين. الفاره من الجياد: الجيد السير، واستفرتها: استكرمها أي انتقاها كريمة فارهة.

ولعلَّ براعته الإدارية وحُسن سيرته بين الناس هي التي حملت أهل  
البصرة على الخروج لِتشييعه وتوديعه حين عُزل عن مدينتهم - كما تقدّم - .  
كما كان حَسَن الرِّعاية لِندمائه وأصدقائه وحاشيته، يَعْمَلُ على إرفادهم  
بِعَطاياه في حياتهم، ويأخذُ بيدِ أسرهم بعد وفاتهم، ولعلَّ فيما رُوِيَ من أنَّ  
أحدَ المُغنين ماتَ عنده فحملَه إلى بناته وما كسبه فاقْتسمنهُ بَيْنهنَّ<sup>(١)</sup>، دليلٌ  
على هذا.

وكانَ من سَجَاحَةِ خُلُقِهِ عَفْوُهُ عمن ثَلَبَهُ ونالَ منه بعدَ اقتداره عليه،  
من ذلك أنَّ ابنَ الرُّوميِّ (قد أحنى عليه بالهجاءِ الفاحشِ فظَلَبَهُ ابنُ المُدبِرِ  
أشدَّ الطَّلَبِ، فلَمَّا ظفَرَ به وأرادَ قتله أنشأ يقولُ . . . فعفا عنه وأجازَه)<sup>(٢)</sup> .  
وكانَ فيه مَيْلٌ إلى المَزحِ والدُّعابةِ، وقد رُوِيَ له أخبارٌ في هذا  
الشأن<sup>(٣)</sup> .

وتقدّمَ أنه كانَ مُحبًّا لمجالسِ الأُنسِ والشُّرابِ والغِناءِ، كما كانَ  
سريعَ البديهةِ، صادقَ الحسِّ، ولعلَّ في علاقتهِ مع رجالِ العَصْرِ وأدبائه،  
وفيما ذُكِرَ عنه من إتمامِ الإشاراتِ والتلميحاتِ دليلًا واضحًا على هذا<sup>(٤)</sup> .  
ويظهرُ أنه لم يكنَ يحفَلُ بالتَّنْجيمِ والمُنْجَمينَ، ومُماراتِهِ أحدَ  
المُنْجَمينَ في رُؤيةِ الهلالِ لشهرِ رمضانَ شهيدًا على ذلك<sup>(٥)</sup> .  
وإذا كانَ الصُّمُودُ أَمامَ الأزماتِ الحادةِ، والمواقفِ الحرجةِ دليلٌ

---

(١) ينظر: الأغاني ٧٦/٢٣، وينظر: أخبار البحري ١١٩، ونشوار المحاضرة ٢٧٠/١،  
حيث منحَ عَرِيبٌ في آخر حياتها ضبيعةَ زوجته المجاورة لضيعتها، وهو في حال  
ضيقٍ .

(٢) ديوان المعاني ٢٠٠/١ .

(٣) ينظر: الهفوات النادرة ٢٥٩، ٢٦٩ .

(٤) ينظر: الأغاني ١٧٢/٢٢، والأذكياء ٢٣٣ .

(٥) ينظر: الأغاني ٢٤/٢٣ .

الشجاعة ورباطة الجأش، فصموه في البصرة أيام اجتياح الزنج لها - كما سلف - خير برهان على هذا.

ومع كل ما كان يتمتع به من هذه الصفات، فإن غير واحد من الشعراء أو الأدباء قد وقف منه موقف المندد له، الطاعن عليه موافقه منهم وتلكؤه عن مساعدتهم، وقعوده - لسبب من الأسباب - عن الأخذ بأيديهم، بعد أن كألوا له المديح جزافاً، وأطروا خلاله، وأثنوا عليه، ولا نحسب أن مثل هذه المطاعن يمكن أن يركز إليها، فتتخذ معياراً يعتمد عليه في تقويم الرجل<sup>(١)</sup>!

ثقافته:

ليس في أخباره ما يشير إلى أولية ثقافته أو مؤدبيه الذين تعهدوه بالتعليم والتثقيف فأخذ عنهم وتأثر بهم، فالأخبار عن أولية أسرته تكاد تكون نادرة اللهم إذا استثنينا الخبر الذي روي عن أخيه أحمد، الذي يشير إلى أن والده قد دفع إلى أحد أصدقائه خمسة آلاف درهم دون علم ابنه الذي خرج مع أحد رجال المأمون في خروج الأخير إلى بلاد الروم سنة ٢١٥ هـ - كما تقدم -، ليعرضها عليه في حال اختلال حاله وحاجته إلى المال.

ومعنى هذا أن والده كان ميسر الحال، وإذا صح هذا - فأكبر الظن أنه تعهد أولاده ومنهم إبراهيم بالتعليم والتثقيف، ومن يدرى فلعله هياً لهم من وسائل التثقيف ما يتناسب وحاله التي كان عليها.

ومما يجدر ذكره أن أقدم خبر عن إبراهيم - كما تقدم - هو خبر خروجه إلى بلاد الروم مع عسكر المأمون أيضاً، ولعله كان يصاحب أخاه أحمد، فراهن أحد لِداته أن يمر بالقرب من جمّازة عريب وينشد أبيات

(١) ينظر: مجلة الأستاذ عدد ١٩٧٨ - ١٩٧٩، ص ٥٤٨ - ٥٤٩.

عيسى بن زينب فيها، ومعنى هذا أنه كان يحفظ جملة من الشعر بل ومن الشعر الخاص الذي قاله شاعر معين في امرأة معينة.

والمظنون أنه تلقف في طفولته وصباه العلوم التي كان يتلقفها أبناء العصر، وأن الأب كان يريد أن يكون أبنائه كتاباً، فدفعهم إلى من يزودهم بكل ما يؤهلهم إلى ذلك. ولعل الخبر الذي تقدم عن ابنه أحمد في خروجه إلى بلاد الروم والذي كان في أول عهده بالكتابة والذي جاء فيه: (كنت أقتل مجلس الإسكدار في ديوان الخراج)، وما تقلده أحمد هذا وأخوه إبراهيم بعد ذلك من الولايات والأعمال الإدارية، دليل واضح على هذا.

وإذا جاز لنا - بعد تعذر الوقوف على أولية الرجل - أن نتخذ مما جاء في الرسالة المنسوبة إلى إبراهيم، ما يجب أن يأخذ الكاتب به نفسه من الثقافة والتحصيل، ومما استشهد به ابن المدبر في تضاعيفها من النصوص، وما ذكره من الأسماء، وأن نستأنس بالأخبار التي رواها أو رويت عنه أيضاً، دليلاً على ثقافته وعلمه، فإننا نستطيع أن نمضي في هذه السبيل، وأن نضع أيدينا على مختلف أنواع ثقافته ومعارفه.

جاء في الرسالة العذراء:

«واعلم أن الاكتساب بالتعلم والتكلف، وطول الاختلاف إلى العلماء، ومدايسة كتب الحكماء، فإن أردت خوض بحار البلاغة، وطلبت أدوات الفصاحة، فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه، في تلقيح ذهنك، واستنجاح بلاغتك، ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به منطقتك، ويعذب به لسانك، ويطول به قلمك، وانظر في كتب المقامات والخطب، ومحاورات العرب... وحدود المنطق... بعد أن تتوسط في علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والسور والشروط

كَتَبِ السَّجَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ . . . (١).

وقد ضَمَّنَ رسالته جملةً من النصوص الثَّرية والشَّعرية، وسَمَّى أغلبَ أصحابها، إلى جانبِ تضمينها الأحاديثَ النبويَّةَ، وسنَجَرِيءُ بذكرِ الأسماءِ التي وَرَدَتْ في هذه الرِّسالةِ والتي تَمَثَّلُ بنماذجٍ من كلامِ أصحابها بِحسبِ تَسْلُسلِ ورودِهِم فيها:

محمود الوراق - عبد الله بن طاهر - محمد بن عبد الملك الزيات - كتب الرسول ﷺ إلى العلاء الحضرمي وأقيال اليمن وكسرى وقصر - الإمام علي بن أبي طالب - ابن عباس - إبراهيم المزني - لييد - الحباب بن المنذر - أبو نواس - العتابي - الحسن بن وهب - العتبي - أبو تمام - ابن قيس الرقيات - أبو العتاهية وابن منذر - الجاحظ - خالد بن صفوان - عيسى ابن لهيعة - مخلد الموصلي - أرسطاطاليس - هشام بن عبد الملك - علي بن عبدة - الأعور التيمي - علي بن الجهم - سهل بن بركة - عبد الرحمن بن كيسان - بشر بن خالد - عمر بن عبد العزيز - عمرو بن عبيد - الخليل بن أحمد.

أمَّا الأخبارُ التي رواها عمن اتَّصلَ بهم من رجالِ العصرِ أو الأخبارِ التي رواها عنه من اتَّصلَ به من الأدباءِ والشُعراءِ والنقَّادِ، أو رُوِيَتْ عنه دونَ ذكرِ اسمٍ من أخذها عنه مباشرةً، فكثيرةٌ.

ليسَ لدينا - كما سبقَ القولُ - خبرٌ يُشيرُ إلى مَنْ أخذَ عنهم في عهدِ صباهُ أو شبابه، وإنما الأخبارُ التي رواها عمن اتَّصلَ بهم من رجالِ العصرِ كانتُ في جُمَلِها تدورُ في فَلِكِ القَرْنِ الثالِثِ الهِجريِّ، فقد روى عن عليِّ ابنِ الجَهمِ وإبراهيمِ الصُّوليِّ، ودِعْبِلِ وأحمدَ بنِ المُعتصمِ (المستعين)، وأحمدَ بنِ عَمَّارٍ، أخباراً حول: عليِّ بنِ الجَهمِ، وإبراهيمِ الصُّوليِّ،

(١) جمهرة رسائل العرب ٢٠١/٤.

وِدْعَبِلِ وَالْحَارِثِيُّ<sup>(١)</sup>، وَأَبِي نَوَاسٍ، وَالْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ<sup>(٢)</sup>، وَشِجَاعِ بْنِ الْقَاسِمِ، كَاتِبِ أَوْتَامَشِيِّ<sup>(٣)</sup>.

وَبَعْدَ أَنْ قَطَعَ شَوْطاً بَعِيداً فِي عِلَاقَاتِهِ بِالْمَجْتَمَعِ وَرِجَالِهِ، وَأَصْبَحَتْ لَهُ مَكَانَةٌ مَرْمُوقَةٌ اتَّصَلَ بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ الْعَصْرِ - كَمَا تَقَدَّمَ -، فَأَخَذُوا عَنْهُ وَرَوَوْا أَخْبَاراً مُتَنَوِّعَةً كَانَتْ يُتَحَفُّهُمُ بِهَا، وَعُرفَ عَنِ الرَّجُلِ مِيلُهُ إِلَى الْأَخْبَارِ حَتَّى نَعَتْهُ بَعْضُهُمْ بِالْأَخْبَارِيِّ<sup>(٤)</sup>.

وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى مَنْ رَوَى عَنْهُ فَقَالَ: (رَوَى عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ، وَأَبُو بَكْرِ الصُّوْلِيُّ، وَمَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ، وَجَعْفَرُ بْنُ قُدَامَةَ الْكَاتِبُ)<sup>(٥)</sup>.

وَالْحَقُّ أَنَّ هُنَاكَ آخَرِينَ حَدَّثُوا عَنْهُ غَيْرَ هَؤُلَاءِ، أَمْثَالُ: مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرَوِيهِ، وَابْنِ الْمُعْتَزِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ الْوَكِيلِ، وَأَحْمَدَ بْنَ سَعِيدِ، وَعَمَّ أَبِي الْفَرَجِ، وَأَحْمَدَ بْنَ يَزِيدِ الْمُهَلَّبِيِّ، وَقَدْ رَوَوْا عَنْهُ أَخْبَاراً حَوْلَ:

مِرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ وَمُسْلِمَ بْنَ الْوَلِيدِ<sup>(٦)</sup>، وَأَحْمَدَ بْنَ يَوْسَفَ وَكَاتِبِهِ<sup>(٧)</sup>، وَعَوْفَ بْنَ مُحَلِّمٍ<sup>(٨)</sup>، وَالْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ وَأَبِي نَوَاسٍ<sup>(٩)</sup>،

(١) ينظر: الأغاني ٢٦/١٠، ٢١٠ - ٢١١، ٢٢٠، ١٨٣/٢٠، وبدائع البدائه ١٧٦

(٢) ينظر: الأغاني ٢٠٣/٧.

(٣) ينظر: الهفوات النادرة ٢٦٩.

(٤) ينظر: المشتبه في أسماء الرجال ٥٨١.

(٥) الوافي بالوفيات ١٠٧/٦، وينظر: تاريخ بغداد ٢١٠/١٣.

(٦) ينظر: الأغاني ٩٣/١٠ - ٩٤.

(٧) ينظر: أخبار البحري.

(٨) ينظر: الأغاني ٨٦/١٢.

(٩) ينظر: الأغاني ١٥٥/٧، ١٥٦، ٢٠٣.

وإبراهيم الصُولِيّ ودِعْبَل (١)، وعليّ بن الجهم (٢)، ومروان بن أبي  
الجنوب (٣)، وعبد الله بن العباس الرّبيعي (٤)، وسعيد بن حميد وفضل  
الشاعرة (٥)، والخريمي (٦)، والحسن بن وهب (٧).

كما رووا أخباراً تتعلقُ بابن المُدبّر نفسه، كخروجه إلى أرضِ الرُّومِ  
مع عسكرِ المأمونِ وهو حدث (٨)، وتعضُّبه على أبي تمام (٩)، وعلاقته  
وأخيه أحمدَ بإبراهيم الصُولِيّ (١٠)، وإحدى رسائلِ الجاحظِ إليه (١١)،  
واستهداءِ مُؤدّبٍ لولده (١٢)، وأحد مجالسه الأديبيّة (١٣).

وهناك أخبارٌ أخرى حدّث بها ابنُ المُدبّر ولم يُشر إليّ مَنْ رواها عنه  
مباشرةً، وهي أخبارٌ استقّاهَا من قراءاته أو من علاقته بأصحابها، وهي  
تتعلّقُ بالرشيد وبعض حاشيته (١٤)، وإيتاخ التركي (١٥)، وإعذار المُعتز (١٦)،

- 
- (١) ينظر: الأغاني ٤٦/١٠، ١٨٣/٢٠، وبدائع البداهة ١٧٦ - ١٧٧.  
(٢) ينظر: الأغاني ٢١٠/١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢٢٠.  
(٣) ينظر: تاريخ الطبري ٢٣٢/٩.  
(٤) ينظر: الأغاني ٢٣٠/١٩.  
(٥) ينظر: الأغاني ٣٠٦/١٩.  
(٦) ينظر: معاهد التنصيص ٩٣/٤ - ٩٤.  
(٧) ينظر: الأغاني ١٠٥/٢٣.  
(٨) ينظر: الأغاني ٦٤/٢١.  
(٩) ينظر: أخبار أبي تمام ٩٧ - ٩٨.  
(١٠) ينظر: الأغاني ٥٧/١٠.  
(١١) ينظر: معجم الأدياء ٩٢/١٦ - ٩٣.  
(١٢) ينظر: البصائر والذخائر ٤٩٦/٣، ومعجم الأدياء ٢٥٥/١٣.  
(١٣) ينظر: أخبار البحري ١٢٤ - ١٥.  
(١٤) ينظر: الأذكياء ٩٦.  
(١٥) ينظر: تاريخ الطبري حوادث ٢٣٥ هـ.  
(١٦) ينظر: الديارات ١٥٤ - ١٥٥.

ومحمد بن الفضل الجرجاني<sup>(١)</sup>، وأحمد بن الخصب<sup>(٢)</sup>، ودعبل<sup>(٣)</sup>،  
والبحري<sup>(٤)</sup>.

يتضح مما تقدم أن ثقافة الرجل كانت واسعة وعميقة، وأنه قد  
استمد من المعارف والعلوم القديمة ما قوّم به نفسه، كما ألقي بثقله على  
الثقافة الحديثة فنال منها ما نال، ومن أجل هذا كانت معارفه الحديثة هي  
الطاغية على ثقافته، كما يتضح أن الجانب الأدبي كان الغالب عليها أيضاً.  
ولعلّ البحريّ لمس فيه هذا فقال:

عش للمروءة والفتوة والعلا ومحاسن الآداب والأخلاق  
حفظ القريض فما يضيع حقه أبداً، وأنت له من العشاق<sup>(٥)</sup>

ولا شك أنه بعد أن شدا من العلوم والمعارف - ما جعله يحس  
بقدرته على النهوض والسير في السبيل التي انتهجها لنفسه - مضى قدماً  
في التزوّد والتحصيل، ولا شك في أن مركزه الاجتماعي والإداري كان ممّا  
ساعد على إغناء ثقافته وتنوعها أيضاً. ولعلّ المجالس الأدبية ومجالس  
الأنس التي كان يحضرها أو يعقدها كان لها الأثر الكبير في تغذية هذه  
الثقافة وتلوينها؛ ذلك لأنها كانت مجالس تدور فيها كثير من المطارحات  
الأدبية والمحاورات الثقافية، ويحضرها العديد من رجال الأدب والفكر  
والفن.

فمن تلك المجالس ما روي عن ابن المدبر نفسه قال: (اجتمع يوماً

(١) ينظر: الهفوات النادرة ٢٥٩.

(٢) ينظر: جمع الجواهر ٢١٢، والهفوات النادرة ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٣) ينظر: معاهد التنصيص ١٩٣/٢ - ١٩٤.

(٤) ينظر: أخبار البحري ١١٣ - ١١٤.

(٥) ديوان البحري ١٥٤٨.

عندي الفضلُ اليزيديُّ والبحترِيُّ وأبو العيناءِ، فجلسَ الفضلُ يلقي على بعضِ الفتيانِ نحواً، فقال أبو العيناءِ: في أيِّ بابٍ هو من النحو؟ فقال: في بابِ الفاعلِ والمفعولِ به... (١).

ومنها ما رويَ من أنَّ عَرِيبَ زارتُ جماعةً في مجلسِ شَرابٍ فسألوها أن تُقيمَ عندهم فأبَتْ وقالتُ: (قد وعدتُ جماعةً من أهلِ الأدبِ والظرفِ أن أُصيرَ إليهم وهم في جزيرةِ المؤيِّدِ، منهم إبراهيمُ بنُ المدبِّرِ وسعيدُ بنُ حُمَيْدٍ، ويحيى بنُ عيسى بنِ منارة... (٢).

ولعلَّ ممَّا يندرجُ ضمن هذه المجالسِ ما كانَ يدورُ بينَ ابنِ المدبِّرِ وبعضِ الأدباءِ، فقد رويَ عن ابنِ المعتزِّ قوله: (كانَ إبراهيمُ بنُ المدبِّرِ يتعصبُ على أبي تمامٍ ويحطُّه عن رتبته، فلاحاني فيه يوماً فقلت له: أتقولُ هذا لمن يقولُ... ولمن يقولُ... ولمن يقولُ... قال وأنشدته أيضاً غيرَ ذلك، فكأنِّي - واللهِ - ألقمته حجراً) (٣).

وتقدمت الإشارةُ إلى أن مجلساً كانَ يضمُّه والجاحظُ في كلِّ ثلاثةِ أيامٍ، وأنَّه تأخَّرَ مرَّةً عن الحضورِ لشغلٍ عَرَضَ له، فبعثَ إليه الجاحظُ رسالةً يتشوقُه فيها، ويتساءلُ عن سببِ الغيِّبةِ.

وبعدَ أن استوى الرَّجلُ أديباً مُتمكناً، وخالطَ كبارَ الأدباءِ والشعراءِ والنقادِ، أصبحت له آراءٌ في تذوقِ الشعرِ وأحكامِ في نقدِه ونقدِ أصحابِه والإحاطة بانتحالِ بعضه. فقد رويَ عن بعضهم قوله:

(١) أخبار البحترى ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) الأغاني ١٧٢/٢٢، وينظر المصدر نفسه ١٦٢/٢٢ - ١٦٣ للوقوف على مجلس آخر.

(٣) أخبار البحترى ٩٧ - ٩٨، وينظر: مروج الذهب ٤٨٣/٣ وفيه أن هذا حدث لابن المدبِّر مع محمد بن أبي الأزهر الذي قال: (كان إبراهيم بن المدبِّر - مع محله في العلم والأدب والمعرفة - يسيء الرأي في أبي تمام... ) وتاريخ بغداد ٢٥٠/٨ -

(أنشدت إبراهيم بن المدبر قولَ حسين بن الضحاك:  
كأنما نُصبَ كأسه قمر يكرع في بعض أنجمِ الفلكِ

.....  
فقال لي إبراهيم بن المدبر: إنَّ الحسينَ يزعمُ أنَّ أبا نواسٍ سرقَ منه  
هذا المعنى حينَ يقولُ:

يُقبَلُ في داجٍ من الليلِ كوكبا

فإنَّ كانَ سرَّقه منه فهو أحقُّ به؛ لأنَّه قد برزَ عليه، وإنَّ كانَ حسينُ  
سرَّقه منه فقد قصَّرَ عنه<sup>(١)</sup>.

كما روي عن بعضٍ آخرَ قوله:

(حدَّثني إبراهيم بن المدبر قال:

مرضَ عمرو بن مسعدة، فدخلَ عليه مروان بن أبي حفصة وقد أبلَّ  
من مرضه فأنشأ يقول:

صَحَّ الجسمُ يا عمرو لك التَّمحيصُ والأجرُ  
وللَّه علينا الحمُّ دُ والمِنَّةُ والشُّكرُ  
فقد كانَ شكا شوقاً إليك النَّهيُّ والأمرُ

قال: فنحا نحوه مسلم بن الوليد فقال:

قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلتُ لهم نفسي الفداء له من كلِّ محذورٍ  
يا ليتَ علته بي غيرَ أنَّ له أجرَ العليلِ وأني غيرُ ماجورٍ<sup>(٢)</sup>

(١) الأغانى ١٥٥/٧ - ١٥٦.

(٢) نفسه ٩٣/١٠ - ٩٤، وينظر: شرح ديوان صريع الغواني ٣٢٣، والبيتان منقولان من الأغانى، وينظر: الأغانى ٨٦/١٢، وفيه أن مروان بن أبي الجنوب نحا نحو عوف ابن محلم في مثل هذا.

وروي عن ابن المدبر قوله:

(أنشدني علي بن الجهم لنفسه:

وَإِذَا جَزَى اللَّهُ امْرَأً بِفِعَالِهِ فَجَزَى أَخًا لِي مَا جِدًّا سَمَحًا  
نَادَيْتُهُ عَن كُرْبَةٍ فَكَأَنَّمَا أَطْلَعْتُ عَن لَيْلٍ بِهِ صُبْحًا

فقلت له: ويملك! هذا لإبراهيم بن العباس يقوله في محمد بن عبد الملك الزيات! فجددني وكابر. فدخل يوماً علي بن الجهم إلى إبراهيم ابن العباس وأنا عنده، فلما رأني قال: اجتمع إبراهيمان. فتركته ساعة ثم أنشدت البيتين، وقلت لإبراهيم بن العباس؛ إن هذا يزعم أن هذين البيتين له. فقال: كذب هذان لي في محمد بن عبد الملك الزيات. فقال علي بن الجهم بيقحة: ألم أنك أن تتحل شعري! فعضب إبراهيم وجعل يقول بيده: سَوْءَةٌ لَكَ سَوْءَةٌ لَكَ... (١).

وكان ابن المدبر يُعجبُ بشعر البحرري ويُطريه - كما سيأتي -، كما كان مُعجِباً بدِعْبَلٍ حَتَّى عَدَّهُ أَحَبَّ النَّاسِ وَأَقْدَمَهُمْ بِسَبَبِ شَعْرِهِ فِي الْمَأْمُونِ (٢)، كما كان يعجب بشعر أبي الشَّيْصِ فِي عَيْنِيهِ (٣).

وكان لطيف الحس الأديبي مُرَهَفَهُ، ولعل ما روي من تعليقاته على رسالة عريب إليه وإلى أصحابه وهم في مجلس أنس دليل على هذا، فقد

---

(١) الأغاني ١٠/٢٢٠ - ٢٢١، والبيتان في ديوان إبراهيم الصولي في الطرائف الأدبية ١٣٠ - ١٣١، وينظر مثل هذا أيضاً، الأغاني ١٠/٢١١، وجمع الجواهر ٢١٢، والجدير بالذكر أن ابن المدبر لم يكن على ما يظهر - على وثام مع ابن الجهم -، وفي الأخبار التي رواها عن ابن الجهم ما يشير إلى هذا. ينظر: الأغاني ١٠/٢١١، ٢١٣. وفي ديوان المعاني ٢/٢٢٠ خبر يشير إلى ثناء ابن المدبر على مروءة ابن الجهم وصداقته له.

(٢) ينظر: معاهد التنصيص ٢/١٩٣ - ١٩٤.

(٣) ينظر المصدر نفسه ٤/٩٣.

رَوِي أَنَّهَا كَتَبَتْ (سَطْرًا وَاحِدًا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَرَدْتُ، وَلَوْلَا، وَلِعَلِّي) وَوَجَّهَتْ الرُّقْعَةَ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا وَصَلَتْ قَرَأُوهَا، وَعَيَّوْا بِجَوَابِهَا، فَأَخَذَهَا، إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِيِّ، فَكَتَبَ تَحْتَ أَرَدْتُ (لَيْتَ)، وَتَحْتَ لَوْلَا (مَاذَا؟) وَتَحْتَ لِعَلِّي (أَرْجُو) وَوَجَّهَ بِالرُّقْعَةِ إِلَيْهَا، فَلَمَّا قَرَأَتْهَا طَرِبَتْ وَنَعَرَتْ... (١).

وَلَمْ تَخُلْ مَجَالِسُهُ مِنْ تَعْلِيْقَاتِهِ الْفَكْهَةِ عَلَى أَحَادِيثٍ مَنْ يَحْضُرُ تِلْكَ الْمَجَالِسَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَمْ يَخْلَوْا مِنَ السَّدَاجَةِ أَوْ قَلَّةِ الْفِطْنَةِ (٢).

وَلَعَلَّ شَهْرَةَ الرَّجُلِ الْأَدْبِيَّةِ وَجَبَّهَ لِلْأَدْبَاءِ حَمَلًا بَعْضَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ عَلَى أَنْ يَصْنَفَ أَوْ يُؤَلِّفَ لَهُ رِسَائِلَ أَوْ كِتَابًا. جَاءَ فِي الْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ: إِنْ مِنْ مَصْنُفَاتِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ (رِسَالَةٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِيِّ) (٣)، وَجَاءَ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ لِبُرُوكْلِمَانَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ قَسْطَانَ بْنِ لَوْقَانَ (وَفِي خِلَافَةِ الْمُقْتَدِرِ ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ أَلْفَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِيِّ كِتَابَهُ (الْجَامِعَ فِي الدُّخُولِ إِلَى عِلْمِ الطَّبِّ) (٤)). وَوَضَحَ أَنْ بُرُوكْلِمَانَ وَاهِمٌ فِي هَذَا، فَابْنُ الْمَدْبَرِيِّ تَوَفَّى قَبْلَ ٢٩٥ هـ - كَمَا سَيَأْتِي - .

#### عِلَاقَتُهُ بِرِجَالِ الْعَصْرِ وَأَدْبَائِهِ:

إِنَّ طَوْلَ الزَّمَنِ وَتَقَلُّبَ الْأَحْوَالِ مَحْكٌ لِاخْتِبَارِ مَعَادِنِ النَّاسِ، وَسَبْرِ أَعْوَارِهِمْ، وَالْوُقُوفِ عَلَى جَوَاهِرِهِمْ. وَابْنُ الْمَدْبَرِيِّ قَطَعَ شَوْطًا بَعِيدًا فِي مِضْمَارِ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ الْهَجْرِيِّ حَتَّى كَادَ يَسْتَنْفِذُهُ، وَهُوَ الْقَرْنُ الَّذِي شَهِدَ مِنْ اضْطِرَابِ الْأَحْوَالِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ مَا لَمْ يَشْهَدْهُ قَرْنٌ آخَرَ.

(١) الْأَغَانِي ١٢٧/٢٢ .

(٢) لِلْوُقُوفِ عَلَى نَمَازِجٍ مِنَ التَّعْلِيْقَاتِ الْفَكْهَةِ يَحْسَنُ الرَّجُوعُ إِلَى:

جَمْعُ الْجَوَاهِرِ ٢١٢، وَالْهَفْوَاتُ النَّادِرَةُ ٢٥٩ - ٢٦٠، ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٣) ٩/٧ .

(٤) ٩٧/٤ .

وقلما نجا من أشراك حَبائِلِه، وفِخاخِ مَكائِدِه أَحَدٌ.

وكان ابنُ المدبّرِ أَحَدَ من شَمَلَه شيءٌ من مآسي ذلك العَصْرِ - كما تقدّمَ - في نكبته. ولكنه معَ ذلك كادَ أن يكونَ من الأفذاذِ الذين استطاعوا بما أوْتُوا من المُرُونَةِ والحِذْقِ، والحُنْكَةِ وسياسةِ التَّدْبِيرِ أن يُوطِّدُوا صلاتِهِم الحَسَنَةَ وعلاقاتِهِم الطَّيِّبَةَ مَعَ أَكْثَرِ شَخْصِيَّاتِ ذَلِكَ القَرْنِ، فقد نالَ حُظُوَّةَ لَدَى المتوكِّلِ، وأعجَبَ به المَعْتَمِدُ والمُعْتَصِدُ فَكانَ وزيراً للأوَّلِ، وأحَدَ متولِّي الضِّياعِ للثاني كما سبق، بل أحرزَ مكاناً مرموقاً لدى الموقِّعِ أَحَدِ رجالِ الدُولَةِ المعروفين في عَصْرِهِ.

وممن اتَّصَلَ بِهِم من رجالِ العَصْرِ أبو عيسى بنِ المتوكِّلِ الذي كان يجتمعُ مَعَهُ في مجالسِ الأَنسِ واللَّهْوِ<sup>(١)</sup>، كما كانَ على وفاقٍ مَعَ صاعِدِ ابنِ مُخَلِّدٍ<sup>(٢)</sup>، وكانَ صديقاً لأبي الصَّقَرِ إِسماعيلَ بنِ بُلْبُلٍ، ولكنه لم يَرْضَ فعَلَهُ لَمَّا نُكِبَ ولا نيابته عنه، فقالَ فِيهِ شعراً يُعاتِبُهُ على ما بَدَرَ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>، وكانتَ علاقته طَيِّبَةً بِمُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ الذي نهضَ - كما تقدّمَ - بما نَدَبَهُ له من تخليصِهِ من نكبته.

وكانتَ صلاتُهُ بأدبائِ العَصْرِ وعلمائِهِ جَيِّدَةً في أَكْثَرِها، وعلى رأسِهِم الجاحِظُ الذي كانَ أَحَدَ المقرَّبِينَ إِلَيْهِ، فَكانَ يَضُمُّهُما مَجْلِسٌ في كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيامٍ، وكانَ أبو عثمانَ يُعزُّ ابنَ المدبّرِ ويعدُّهُ أَحَبَّ أَحْبَبِهِ إِلَيْهِ وأخلصَهُم، ورسالتُهُ إِلَيْهِ - وقد تَأخَّرَ اجتماعُهُ بِهِ لِشُغْلٍ عَرَضَ لَهُ - دليلٌ على المَوَدَّةِ الصَّافِيَةِ بينِ الرَجُلَيْنِ<sup>(٤)</sup>. وقد تَمَثَّلَ إبراهيمُ - وفي أَكْثَرِ من موضعٍ - بكلامِ

(١) ينظر: الأغاني ١٧٧/٢٢.

(٢) ينظر: الهفوات النادرة ٢٦٤.

(٣) ينظر: الأغاني ١٨٤/٢٢.

(٤) ينظر: معجم الأدباء ٩١/١٦ - ٩٤، والجاحظ حياته وآثاره ٣٨٨ وذهب مؤلفه إلى أن صلته بابن المدبر إنما كانت في البصرة أيام ولايته بها، متخذاً من تعليق أحد جلساء ابن المدبر على ما جاء في هذه الرسالة وهو قوله: (هذه رُفْعَةٌ عاشتِ لا رُفْعَةٌ =

الجاحظ في رسالته العذراء. ومع كل ذلك فقد غَمَزَ الجاحظ في رسالته (ذمُّ أخلاقِ الكتَّابِ) من ابنِ المدبِّرِ فقال: (وابن المدبِّرِ في الخبِّ والمكايِدة). وجدير بالذكر أننا لا نعرف إن كان يريدُ بذلك إبراهيمَ هذا أو أخاهُ أحمدًا!

ومن أدباء العصر الذين كانتْ له معهم صلواتٌ حسنةٌ وأخبارٌ: سعيدُ ابنُ حميدٍ الذي كانَ أحدَ أصدقائه، يحضر معه مجالسَ الأدبِ والظُّرفِ، وقد ذكره في الرسالة العذراء، كما روى بعضُ أخباره مع فضلِ الشاعرة التي كان يتعشَّقُها<sup>(١)</sup>.

ومنهم المُبرِّدُ الذي استهداهُ ابنُ المدبِّرِ - كما تقدم - جليساً يجمعُ إلى تأديبٍ ولديه الإمتاعُ بإيناسه<sup>(٢)</sup>، فكان أن نَدَبَ الأَخْفَشَ لذلك، وكتبَ معه إليه رسالةً، وقد كان إبراهيمُ يُنشِدُ الأَخْفَشَ هذا بعضَ شعره<sup>(٣)</sup>.

وممن كانَ يُنادمه ويُصِفِيه وُدَّهُ أبو عبدِ اللَّهِ بنُ حمدونَ الذي كانَ يأنسُ به، ويرتاحُ إليه، ويلاعبُه النَّردَ، وقد استغاثَ به في أيامِ نكبته،

---

= خادم) دليلاً على ذلك.

وتقدّم أننا لا نعرف على وجه الدقّة الستة التي تولّى فيها ابن المدبر البصرة، ولكننا ذكرنا اجتياح الزنج لها في سنة ٢٥٦ هـ وهرب ابن المدبر من الأسر في سنة ٢٥٧ هـ. ومعلوم أن وفاة الجاحظ كانت في سنة ٢٥٥ هـ، وأنه في أواخر عمره قد أصيب بالفالج فأقعده (وفيات الأعيان ٤٧٣/٣)، وأمالي المرتضى ١/١٩٩، وتاريخ بغداد ١٢/٢٢٠). وأغلب الظن أن علاقة الرجلين ببعضهما تمتدّ إلى أبعد من هذا التاريخ، ولا يبعد أن تكون منذ أيام تردد الجاحظ إلى سامراء وإقامته فيها واتصاله برجال الدولة كابن الزيات وابن أبي داود والفتح بن خاقان وسواهم؛ فقد كان الجاحظ في ذلك الوقت قويّ البنية، قادراً على المخالطة، متمكناً من المشاركة والاجتماع!

(١) ينظر: جمهرة رسائل العرب ٤/١٢٧، ورسائل سعيد بن حميد وأشعاره (الفهارس).

(٢) ينظر: البصائر والذخائر ٣/٤٤٢ - رطب السرور ٢٩٦.

(٣) ينظر: أمالي القالي ١/٢٩.

فكتب إليه قصيدة يسأله وفيها إذكار المتوكل والفتح بن خاقان بأمره<sup>(١)</sup>.

ومنهم أبو العيْناء الذي كانت له معه أخبارٌ وحكايات<sup>(٢)</sup>، كما كانت صلته حسنةً مع آخرين أمثال: الفضل اليزيدي<sup>(٣)</sup>، وأبي حشيشة المغنّي<sup>(٤)</sup>، وعليّ بن يحيى المنجم الذي كان أحدَ مُشاركيه مجالس الأُنس والظرف، فكانا يتكاتبان بالأشعار<sup>(٥)</sup>، ويحيى بن عيسى بن منارة<sup>(٦)</sup>، وأحمد بن أبي طاهر<sup>(٧)</sup>.

أما علاقاته بشعراء العصر فكانت في أغلبها وديةً، فكانوا يتوددون إليه ويسترفدونَه بحكم مركزه الاجتماعي والإداري، ومن أجل ذلك كثر مداحوه والمثنون عليه حتى قال الصولي: (ليس في زماننا شاعرٌ إلا قد استفرغ بعض مدحه فيه)<sup>(٨)</sup>.

فمن الشعراء الذين كانت تربطه بهم صلةٌ حسنةً، دِعْبِل الخزاعي<sup>(٩)</sup>، وإبراهيم الصولي الذي كان - كما يقول ابن المدبر - يوده دون أخيه أحمد<sup>(١٠)</sup>، وأبو هفان المهزومي<sup>(١١)</sup>، ومحمد بن صالح العلوي الذي كان

(١) ينظر: الديارات ١١، والأغاني ١٦٨/٢٢.

(٢) ينظر: أخبار البحري ١٢٤ - ١٢٥، والاقْتباس من القرآن الكريم ١٧٤، وزهر

الأدب ٢٩٦، ومعجم الأدباء ٣/٨ - ٢٢٩ - ٣٠.

(٣) ينظر: أخبار البحري ١٢٤ - ١٢٥.

(٤) ينظر: الأغاني ٧٥/٢٣ - ٧٦، ٨٣.

(٥) ينظر: الأغاني ١٦٢/٢٢ - ١٦٣.

(٦) ينظر: الأغاني ١٧٢/٢٢.

(٧) ينظر: الوافي بالوفيات ٩/٧.

(٨) الوافي بالوفيات ١٠٧/٦.

(٩) ينظر: معاهد التنصيص ١٩٣/٢ - ١٩٤.

(١٠) ينظر: الأغاني ٥٧/١٠، والطرائف الأدبية ١٢١، ومعجم الأدباء ٢٢٨/١ وفيه هجاء

ابن المدبر للصاب

(١١) ينظر: الوافي بالوفيات ١٠٧/٦.

صديقاً له. وكان لابن المدبر فضلٌ في تزويجه، فمدحه هذا بمدائح كثيرة رداً لجميله وصنيعه له<sup>(١)</sup>، وأبو شراعة القيسي الذي كان صديقاً له أيام تقلده البصرة، (حتى كان لا يفارقه في سائر أحواله، ولا يمنعه حاجة يسأله إياها، ولا يشفع لأحد إلا شفعه)<sup>(٢)</sup>.

وممن مدح الرجل وأثنى عليه من الشعراء: إبراهيم بن عيسى الكاتب<sup>(٣)</sup>، وماني الموسوس<sup>(٤)</sup>. وأبو صفوان القديدي البصري<sup>(٥)</sup>.

ومن كبار شعراء العصر الذين كانت له علاقة بهم البحري وابن الرومي. ويظهر أن صلته بالبحري قديمة ترجع إلى أيام الشباب، ولعلها تعود إلى الوقت الذي بدأ به البحري يتردد إلى سامراء منذ أواخر عهد الوراق، ويتقرب إلى الكتاب والعمال<sup>(٦)</sup>، وقد أشار البحري في أبيات له إلى أنه كان يجاور ابن المدبر، وإلى تلك العلاقة القديمة بينهما، فقد جاء في مقدمة أبيات له في ديوانه: (وقال يمازح (أحدهم) وكان البحري وعده

(١) ينظر: الأغاني ١٦/٢٣٦٧، ٣٦٨.

(٢) الأغاني ٢٣/٢٤، وينظر: جمع الجواهر ١١٧، وفيه هجاء منسوب إلى أبي شراعة في أحمد بن المدبر وأخيه إبراهيم لتشددهما في الحجاب.

(٣) ينظر: نهاية الأرب ١٣٩/٥، والمستطرف ٦٨/٢ - ٦٩.

(٤) ينظر: الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٢٧ - ١٢٨.

(٥) ينظر: الفرج بعد الشدة ٥٧/٥، وديوان المعاني ٢٣٢/٢، والوزراء والكتاب ١٠٢، وفيه: أن من جيد أشعار ديك الجن قصيدته في إبراهيم بن مدبر الكاتب... ومعلوم أن وفاة ديك الجن كانت في سنة ٢٣٥، ٢٣٦ هـ (ديوان ديك الجن ١٥)، ولا ندري نوع العمل الذي كان يقوم به إبراهيم في هذا الوقت، بحيث يجعل شاعراً شامياً كديك الجن يقول فيه قصيدته هذه. والجدير بالذكر أنه لم يرد من هذه القصيدة سوى بيتين (الديوان ١٤٩). وفي أعتاب الكتاب ١٥٩ في الحديث عن أحمد بن المدبر (وولي أحمد هذا خراج الشام، وامتدحه البحري وديك الجن وغيرهما) ويبدو أن هذا الصواب.

(٦) ينظر: الفصل الأول من كتاب (البحري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل).

أن ينتقل من جوار ابن المدبر إلى جواره، ثم ندم على ذلك فتقاضاه الانتقال فكتب إليه:

أَعَنْ جِوَارِ أَبِي إِسْحَاقَ تَطْمَعُ أَنْ تُزِيلَ رَحْلِي يَا بُهْلَ بْنَ بُهْلَانَا

.....  
هَبْنِي غَنِيْتُ بِوَفْرِي عَنْ نَوَالِهِمْ فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِالْإِلْفِ الَّذِي كَانَا  
عَهْدًا مِنَ الْأَنْسِ عَاقِرْنَا الْكُؤُوسَ عَلَى بَدِيئِهِ، وَخَبَطْنَا فِيهِ أَرْمَانَا  
نَمَازُ عَنْهُ كَهَوْلًا بَعْدَ كِبَرَتِنَا وَقَدْ قَطَعْنَا بِهِ الْأَيَّامَ شُبَانَا<sup>(١)</sup>

ومما ينبغي ذكره أن محقق ديوان البحرني يقول في تعليقه على إحدى مدائح الشاعر في أحمد بن المدبر: (ويبدو لنا أن صلته به وبأخيه (إبراهيم) قد بدأت في آخر عهد المهدي، وبدء عهد المعتمد)<sup>(٢)</sup>. ومعنى هذا أن بدء صلة البحرني بإبراهيم كانت في سنة ٢٥٦ هـ، وهي السنة التي قتل فيها المهدي<sup>(٣)</sup>، واستخلف المعتمد<sup>(٤)</sup>، ونحن نعرف أن سن الشاعر في هذا الوقت قد بلغت الخمسين، وهذا يناقض ما جاء في الأبيات السابقة التي تشير إلى صلتهما في عهد الشباب.

إن الأخبار التي تسربت إلينا عن صلة الشاعر بابن المدبر تشير إلى أنها كانت حسنة في أكثر الأحيان. وأن البحرني نشط في علاقته هذه فقال في الرجل (٢٢) اثنتين وعشرين مقطوعة وقصيدة في مدحه وعتابه والشكوى من حاجبه إلى غير ذلك من الأمور<sup>(٥)</sup>.

ويظهر أن الشاعر أحسن بدالته على الرجل (فكان يلزمه في كل سنة

(١) ديوان البحرني ٢٣٣٠.

(٢) ديوان البحرني ٣٧، الحاشية.

(٣) ينظر: البحرني في سامراء بعد عصر المتوكل ١٧٣.

(٤) ينظر المرجع نفسه ١٩٤.

(٥) تقع هذه المقطوعات والقصائد في أكثر من (٥٠٠) خمسمائة بيت.

أن يسقط أكثر خراجه، أو يؤديه عنه<sup>(١)</sup>.

كما أن ابن المدبر قد شعر بأهمية الشاعر وشعره فيه، فكان يُطربه ويُقرّظه، وقد روي أنه ذكره يوماً فقال: (ما رأيت أتمّ طبعاً منه، ولا أحضراً خاطراً، مدحني حين تخلّصت من الأسر، وذكر الضربة التي في وجهي وتخلّصي، ومدح المأسور، وهذا جمى ما رعاه قبله أحد)<sup>(٢)</sup>.

وجهد ابن الرومي أن يتقرب إلى ابن المدبر فبدأ يمتدحه ويثني عليه، ويأمل أن ينال منه ما يناله سواه من الشعراء، ويبدو أن إلحاح الشاعر في طلبه كان من أسباب تلكؤ ابن المدبر في استجابة ما كان يُشده منه، ولهذا ظهرت شكواه وعتابه ثم تحولا إلى الهجاء الذي لم يخل من الهجر والفحش<sup>(٣)</sup>. وتقدّم أن ابن المدبر طلب الشاعر حين هجأه ولكنه عندما ظفر به أراد قتله، اعتذر الشاعر وتصلّ ممّا قاله فيه فعفا عنه وأجازته<sup>(٤)</sup>.

وهناك طائفة من الشعراء الذين كانوا يختلفون إلى بابيه فكان حاجبه يتشدّد في حجبهم، ولا يُيسر لهم الدخول إليه قد أثرت لهم مقطعات في عتاب الرجل والشكوى من حجابيه وحاجبه، بل وهجاء ابن المدبر نفسه<sup>(٥)</sup>.

(١) أخبار البحتري ١١٩.

(٢) أخبار البحتري ١١٣، وتظر ص ١٣٤ وفيها: (أن البحتري جاء إلى باب إبراهيم، وكان أخو ابن المدبر واقفاً فقال: ... وأذن إبراهيم للبحتري، فغضب ولم يدخل، فوجه إليه، ما أحسب الذي هجأك بأقدر على الهجاء منك، فاهجه ولا تأخذنا بذنبه، وتغضب علينا).

(٣) لابن الرومي في مدح وعتاب وهجاء ابن المدبر (٢١) إحدى وعشرون مقطوعةً وقصيدة تقع جميعها في أكثر من (٤١٠) أربعمئة وعشرة أبيات، منها خمس مقطوعات وأربع قصائد في هجائه.

(٤) ديوان المعاني ٢٠٠/١.

(٥) ينظر: رسائل الجاحظ ٣٧/٢، ومعجم الشعراء ٤٠٩، وثمار القلوب ٢٢٤، ومعجم الأدباء ٢٢٩/١، ٢٣١ - ٢٣٢، والوافي بالوفيات ١٩١/٢.

## الأسرة:

في المظان التي رجعنا إليها إشارات وأخبار عن بعض أفراد أسرة بني المدبر وأكثرها - إذا استثنينا أخبار إبراهيم وأحمد - أخبار مقتضبة وإشارات سريعة أو تلميحات خاطفة.

وقد تجمّع لدينا عدداً من أفراد هذه الأسرة، فجدّهم الأعلى هو عبيد الله، ولا نعرف عنه شيئاً، وإنما جاء في سياق الحديث عن نسب إبراهيم وأخيه أحمد، وابنه محمد: وجاء خبر عنه في عهد المأمون حين خروجه إلى أرض الروم في سنة ٢١٥ هـ - كما تقدّم -، ويبدو أنه كان على شيء من اليسار.

ولعلّ أول من ذكر أبناء محمد هذا ابن النديم فقال:

(بنو المدبر: أحمد ومحمد وإبراهيم، وجميعهم شاعرٌ مُترسلٌ بليغ<sup>(١)</sup>) ولا نعرف شيئاً عن محمد هذا سوى ما ذكره ابن النديم.

أما أحمد، فهو أبو الحسن<sup>(٢)</sup>، وكان أسنً من إبراهيم<sup>(٣)</sup>، ولعلّ ما يؤيد هذا، ما ذكره عنه الجهشيارى - ويظهر أنه أقدمٌ خبر عنه - من أن أحمد هذا كان يتقلّد مجلس الإسكدار<sup>(٤)</sup> في ديوان الخراج في سنة

---

(١) الفهرست ١٨٤. علّق بعض الدارسين على كلام ابن النديم بقوله: (غير أن ابن النديم انفرد في فهرسه بإضافة أخ آخر له (أي إبراهيم) هو (محمد) فقال: (بنو المدبر...)) والمعروف أن أباه هو محمد ولعلّ ابن النديم يعني ذلك)، الأقلام ٣٥. ولو صحّ هذا لقدّم الوالد على الابن فقيل: (محمد وأحمد وإبراهيم) وقد أكّد الصّفيّ ما ذكره ابن النديم فقال في ترجمة إبراهيم: (وهو أخو أحمد ومحمد) الوافي ١٠٧/٦.

(٢) ينظر: جمع الجواهر، والوافي بالوفيات ٣٨/٨، وفوات الوفيات ١٣٢/١، وفي أدب الكتاب ١٦٠ (أبو الحسين).

(٣) ينظر: إعتاب الكتاب ١٥٨، والوافي بالوفيات ٣٨/٨.

(٤) الإسكدار: مدرّج يكتب فيه عدد الخرائط، والكتب الواردة والنافذة، وأسامي أربابها (الوزراء والكتاب ١٩٩ هامش ٣).

٢١٥ هـ وهي السنة التي خرج فيها المأمون إلى بلاد الروم ، وكان أحمد في ذلك الوقت يكتب بين يدي جعفر الخياط الذي كان في صحبة المأمون، فاصطحب ابن المدبر معه، وكان آنذاك قد اكتمل<sup>(١)</sup>.

وتشير أخباره إلى أنه كان يكتب لابن الزيات أيام المعتصم، فلما جاء المتوكل ورأى فيه مقدرته وعلمه وتضلعه من الكتابة، قرّبه وأدناه، فتولّى في عهده الأعمال الجليلة، ولأه سبعة دواوين. ولما عزم المتوكل على اتخاذ دمشق عاصمة له، كان أحمد المسؤول عن إعداد تهيئة كل ما يحتاج إليه في هذا الشأن. وفي عهد الخلفاء الذين أعقبوا المتوكل: كالمنتصر والمعتز والمهتدي والمعتمد، كان يتولّى الخراج في بلاد الشام ومصر، فلما اشتدت الملاحاة بينه وبين أحمد بن طولون، حبسه هذا وقيدته فمات في حبسه سنة ٢٧٠ هـ<sup>(٢)</sup>.

كان ابن المدبر مبرزاً في عمله، معروفاً له بمقدرته فيه، وفي أخباره، ما يشير إلى هذا، ولعلّ مناظرته إبراهيم الصولي في حضرة المتوكل دليل على هذا<sup>(٣)</sup>.

وتعرّض في حياته إلى ما تعرّض إليه الكثيرون من أمثاله في تلك الحقبه، وهو الحبس، ويبدو أنه تعرّض إلى هذا أكثر من مرة، فقد روي أنه كان في حبس الوثائق مع عدد من الكُتاب، كما طُلب بالأموال في عهد المتوكل فاضطر إلى الاختفاء، وحبس من قبل ابن طولون أكثر من مرة،

---

(١) ينظر: الوزراء والكتاب ١٩٩ ومما ينبغي ذكره أن الجهشيارى أشار إلى ما جرى بين عريب المغنية التي كانت في جملة من خرج مع المأمون وأحمد، يقارن ذلك بما حدث لأخيه إبراهيم معها - كما تقدم -.

(٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي ٢٢١/٣ - ٢٢٦، ٢٣٤ - ٢٣٩، ومروج الذهب ٨٠٠/٤، والولاة والقضاة ٢١٤، وإعتاب الكتاب ١٥٨، ووفيات الأعيان ٥٥/٦.

(٣) ينظر: معجم الأدباء ١٩٤/١ - ١٩٦.

وانتهت حياته وهو في غيابة السجن - كما تقدّم (١) - .

إنَّ حياته لم تخلُ من الجمع بين الجِدِّ الصارم الذي يحتمُّه عليه عمله حتى قيل إنه كان يصلح للقضاء (٢)، وبين اللُّهُو الذي لم ينغمس فيه كما انغمس أخوه إبراهيم، ولهذا قلت الأخبار عن الجانب اللّاهي في حياته، حتى نُعتَ بأنه كان قليلَ المنادمة، وأنه اصطفَى لنفسه عدداً من الثمّاء، انفرد كلُّ رجلٍ منهم بنوعٍ من العلم لا يساويه فيه غيره (٣).

وعلاقةُ أحمدَ برجال العصر وأدبائه وشعرائه، كانت تترجّحُ بين الإعجاب به والثناء عليه، والإفراط في تقديمه على أقرانه فيما اختصَّ به من العلم بالأعمال، فامتدَّحه الشعراءُ وقرَّظَه الأدباءُ، وبين النِّيلِ منه، والتألبِ ضدَّه، والإيقاعِ به (٤).

وكان ممن تعاطى فني الأدب، وشارك فيهما، وعدّه ابنُ عبدِ ربِّه أحدَ الكتّاب الذين نبلوا بالكتابة، واستحقَّوا اسمها (٥). ونعته ابنُ النديم بالقدرة على البراعة في الشعر والنثر، وأشار إلى أنَّ له ديوانَ شعر يقع في سبعين

---

(١) ينظر: آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي ٢٤٨ - ٢٥٠، ومروج الذهب ١٠٠/٤، وفوات الوفيات ١٣٣/١.

وفي الوافي ٣٨/٨ إن موته كان في سنة ٢٦٥ أو ٢٧٠، أو ٢٧١ هـ.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات ٣٨/٨، وفوات الوفيات ١٣٢/١.

(٣) ينظر: مروج الذهب ١٠٠/٤ - ١٠١، وشرح مقامات الحريري ٧٦/٢، وفيه أن الذي اشتهر بهذا هو إبراهيم بن المدبر.

(٤) ينظر: العقد الفريد ٢٣٤/٣ - ٢٣٥، وأدب الكتاب ١٦٠ - ١٦١، والأغاني ٥٨/١٠، ٦٧، والفاضل في صفة الأدب الكامل ١٣٤، والموشح ٥٣٣، والوزراء والكتاب ٢٥٢، وجمع الجواهر ١١٧، وأعتاب الكتاب ١٥٩، ومعجم الأدباء ١٧٩/١، ١٨٤، والوافي بالوفيات ١٠٧/٦. من الطريف أن أحمدَ هذا كان إذا مدحه شاعر فلم يحسن، وكُلَّ به من يمضي معه إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلِّي مائة ركعة... جمع الجواهر ٧٧.

(٥) ينظر: العقد الفريد ١٧٠/٤، وإعتاب الكتاب ١٥٨.

ورقة، وأن له ديوانَ رسائل، وسبقَ أن شككنا في قولِ ابنِ النديم<sup>(١)</sup> فيما يتعلقُ بديوانِ شعرِ الرجلِ .

ومن الجدير بالذكر أننا لم نقف على نصٍّ ثريٍّ واحدٍ منسوبٍ إلى أحمد هذا، ولكننا جمعنا له مقطوعاتٍ شعريةً تقعُ جميعها في (٢١) واحدٍ وعشرين بيتاً، وهي لا ترتفعُ في مستواها الفني إلى ما أثر لأخيه من الشعر.

ومن ولد أحمد أبو غالب الذي كان مع عمه إبراهيم في البصرة حين اجتاحتها الزنجُ فحبسَ معه ثم هربَ مع عمه بعد ذلك .

والحقُّ أننا لا نعرف اسمه إذ لم تذكره الأخبارُ إلا بالكنية، والبحري الذي مدحه بثلاثِ قصائدٍ لم يُسمه، وإنما ذكره بالكنية أيضاً، وفعل مثل ذلك من أشار إليه من المحدثين، ومنهم محققُ ديوانِ البحري<sup>(٢)</sup>.

ومن أولاده أيضاً، محمّد، ولحمّد هذا ولدُ اسمه عبدُ الله، ولا نعرف عنهما شيئاً سوى ورودِ اسميهما في سياقِ الخبر الذي رواه عبدُ الله هذا حولَ خروجِ جدّه إلى أرضِ الرُّومِ معَ المأمونِ - كما تقدّم<sup>(٣)</sup> - .

وأشارَ التَّنُوخِيُّ إلى أنَّ لأحمدَ بنتاً، وجاءَ ذلك في أحدِ الأخبارِ التي رواها ابنُ بنتِ المدبّرِ هذا<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن بعضَ أحفاده انتقلوا إلى المغرب فسكنوها وأصبحَ لهم فيها عقبٌ كثيرٌ وعُرفوا ببني العشيرة واشتهروا بالكرمِ والشجاعة<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: العقد الفريد ٤/١٧٠، وإعتاب الكتاب ١٥٨ .

(٢) ينظر: ديوانِ البحري ٢٨٩ الحاشية، وأخبارِ البحري ١١٣ - ١١٤، وتاريخ الطبري حوادث ٢٥٧ .

(٣) ينظر: الوزراء والكتاب ١٩٩ .

(٤) ينظر: الفرغ بعد الشدة ١/٢٤٧ .

(٥) ينظر: إعتاب الكتاب ٢٢٤ .

وأما إبراهيمُ فقد ألمحتُ بعضُ مَظانِّ أخبارِهِ إلى أنَّ زوجتهَ كانت معه في حبسِ الزنجِ له في البصرة، وأنها تخلَّصتُ من الأسْرِ وهربتُ معه<sup>(١)</sup>.

كما ألمحتُ إلى ولده الذي استهدى المبرِّدَ جليساً لتأديبه<sup>(٢)</sup>. كما ذكرتُ أنَّ له بنتاً، وأنَّ من أولادِها أبا الحسينِ عبدَ الواحدِ بنِ محمَّدِ الخصبِيِّ<sup>(٣)</sup>.

ومما يجدرُ ذكره أنَّ بعضَ الأخبارِ تحدّثت عن أبناءِ المدبِّرِ ولكنَّها لم تُسمِّهم.

فقد ذكر الصُّوليُّ أخاً لإبراهيمَ فقال: (وحدثني اليزيديُّ قال: جاء البحترِيُّ إلى بابِ إبراهيمَ، وكان (أخو ابنِ المدبرِ) واقفاً فقال (أبيات في هجاءِ البحترِيِّ...)<sup>(٤)</sup>.

كما أشار التَّنوخِيُّ إلى أبي صالحِ بنِ المدبِّرِ الذي كان موجوداً في عهدِ المعتمد<sup>(٥)</sup>.

كما ذكَرَ الكُتبيُّ في حديثه عن ابنِ حنزابَةَ الذي تقلَّدَ وزارةَ كافورٍ وأحمدَ بنِ الإخشيدِ بمصرَ والذي كان مولعاً بالحشراتِ كالحيَّاتِ وغيرها أنه كتبَ إلى ابنِ المدبِّرِ الذي كانَ من كُتَّابِ أيامِهِ ودولتِهِ، وهو عزيزٌ عنده ويسكنُ جواره، كتاباً في هربِ بعضِ حيَّاته إلى مسكنِهِ...<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: أخبار البحترى ١١٤.

(٢) ينظر: البصائر والذخائر ٤٩٦/٣، ومعجم الأدباء ٢٥٥/١٣، مما يجدرُ ذكره أنَّ لفظة (ولد) قد تعني الجمع، وليس في الخبر الذي نقله أبو حيان وياقوت ما يدل على أنه مفرد أو جمع.

(٣) ينظر: نشوار المحاضرة ١٣١/٨.

(٤) أخبار البحترى ١٣٤.

(٥) ينظر: نشوار المحاضرة ١٤٥/٨.

(٦) ينظر: فوات الوفيات ٢٩٤/١. مما يجدرُ ذكره أن ولادة ابنِ حنزابَةَ في سنة ثمان وثلاثمائة، ووفاته في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة.

ومن الأخبار التي تدرجُ ضمنَ الحديث عن (ابن المدبر) ولم تسمّه، والتي لا نستطيع القطع في نسبتها إلى أحد الأخوين: إبراهيم أو أحمد، ما ذكره ابن عبد ربه في قوله: (وفصل لابن المدبر: وصل كتابك المفتوح بالعتاب الجميل...) (١).

وما ذكره التوحيدي، كقوله: (قيل لابن المدبر يوماً: ما تقول في الشعر؟ قال: يرفع الخسيس، ويضع الشريف) (٢).

وقوله: (قال ابن المدبر: أنشدني ابن السكيت:

إِقْرِ الهمومَ إذا ضاقتَ مُعتقَةً      صَهْبَاءَ يُحَدِّثُ فِيهَا المَاءُ تَقْوِيَةً  
تَكْسُو أَصَابِعَ سَاقِيهَا إِذَا مُزِجَتْ      من الشُّعَاعِ الَّذِي فِيهَا تَطَارِيْفًا) (٣)

وفاته:

توفي ابن المدبر يوم الأربعاء لثلاث أو أربع عشرة بقية من شوال سنة تسع وسبعين ومائتين (٤) ببغداد (٥).

أدبه:

كان ابن المدبر أحد من جمعوا بين فني الأدب: شعره ونثره، وكان من البارعين فيهما المتمكنين منهما، وقد ألمح إلى هذا غير واحد ممن ترجم له، أو تحدّث عنه من القدماء.

فقال أبو الفرج: (شاعرٌ كاتبٌ متقدّمٌ من وجوه كتاب أهل العراق

(١) العقد الفريد ٢٢٩/٤.

(٢) البصائر والذخائر ٣٥٧/١.

(٣) نفسه ٤٦٨/١، وينظر أيضاً المصدر نفسه ٤/٦٦، وفيه أخير استعراض ابن المدبر طباحة، وقوله لها، وإجابتها عن قوله.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري حوادث ٢٧٩ هـ، ومعجم الأدباء ٢٢٧/١، وفوات الوفيات ٤٧/١.

(٥) ينظر: الأعلام ٥٦/١.

ومتقدّمهم<sup>(١)</sup>، وقال الصولي: (كان إبراهيم بن المدبر رجلاً جليلاً عالماً شاعراً، لا يُدانيه في ذلك كله أحد)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن النديم: (أحمد ومحمد وإبراهيم وجميعهم شاعرٌ مترسلٌ بليغ)<sup>(٣)</sup>، وقال ياقوت: (الكاتب الأديب الفاضل، الشاعر الجواد المترسل، صاحب النظم الرائق والنثر الفائق)<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن شاكِر الكتبي: (كان كاتباً بليغاً فاضلاً مترسلاً)<sup>(٥)</sup>.

### نثره:

على الرغم مما اشتهر به ابن المدبر من الميل إلى الكتابة، والبراعة فيها - كما تقدّم - فإن ما وصل إلينا من نثره لا يتناسب وسمعته فيها، اللهم إذا استثنينا الرسالة المنسوبة إليه، فكل ما وقفنا عليه من نثره رسالتان صغيرتان، وجملة من الأقوال المنسوبة إليه جاءت في تضاعيف أخباره<sup>(٦)</sup>، وفصل من رسالة لم تتأكد نسبته إليه أو إلى أخيه؛ لأنه جاء على هذا النحو: (فصل لابن المدبر)<sup>(٧)</sup>.

وإننا لنعجب من هذه الندرة في نثره، مع أن هناك أسباباً كانت داعية إلى الإكثار منه؛ فالرجل بدأ حياته كاتباً - كما تقدّم - وكانت علاقته في

(١) الأغاني ١٥٧/٢٢.

(٢) إعتاب الكتاب ١٥٩، وينظر: الوافي بالوفيات ١٠٧/٦.

(٣) الفهرست ١٨٤.

(٤) معجم الأدباء ٢٢٦/١ - ٢٢٧.

(٥) فوات الوفيات ٤٥/١، وينظر: الأعلام ٥٦/١.

(٦) يمكن الوقوف على ما أثر له من نثر بالرجوع إلى:

الصداقة والصديق ٤٤٣، ٤٤٤، ومحاضرات الأدباء ٣١٦/١، وأخبار البحري

١١٣ - ١١٤، والأغاني ١٨٠/٢٢، ٢٤/٢٣، وجمع الجواهر ٢٠٨، ومعجم الأدباء

٩٢/١٦.

(٧) العقد الفريد ٢٢٩/٤.

المجتمع قوياً واسعة، وأعماله كثيرة مهمة، وصلاته برجال الأدب مشهورة ومعروفة، وتعرض في أثناء حياته إلى ما يستوجب الكتابة، بل الإكثار منها، أضف إلى كل ما تقدم أنه قد مد له في عمره، كما أسلفنا.

ولا شك في أن شيئاً غير قليل من كتاباته قد فُقد، ولعل فقدان مكاتبات لعريب خير دليل على هذا، فقد ذكرت جملة من مكاتبات عريب إلى ابن المدبر، فيها إشارات إلى أنها أجوبة عن رسائل الرجل إليها، فقد روي عن ابن المعتز قوله: (قرأت في مكاتبات لعريب فضلاً أجابت به إبراهيم بن المدبر... قرأت رُعتك المسكينة التي كلّفها عن أحوالنا...)<sup>(١)</sup>، وقوله: (وقد كتب إليها يشكو علتّه: كيف أصبحت...)<sup>(٢)</sup>. وقوله: (وكتب إليه... وقد وافاني كتابك لا عدته...)<sup>(٣)</sup>.

وجدير بالذكر أن هناك - على ما يظهر - اضطراباً وقع في الفهرست في الحديث عن بني المدبر ونتاجهم، فقد جاء فيه:

(بنو المدبر: أحمد ومحمد وإبراهيم وجميعهم شاعرٌ مترسلٌ بليغٌ ولأحمد كتاب المجالسة والمذاكرة)<sup>(٤)</sup>. ثم أعقب ذلك الحديث عن (هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات)، ثم الحديث عن سعيد بن حميد، وعدد ابن النديم ما أثير لسعيد من الكتب قائلاً: (وله من الكتب كتاب... كتاب ديوان رسائله)، كتاب شعره (والمصارعة لأحمد وإبراهيم ولكل واحد منهم كتاب رسائل).

(١) الأغاني ١٧٢/٢٢.

(٢) نفسه ١٧٤/٢٢.

(٣) نفسه ١٧٤/٢٢.

(٤) الفهرست ١٨٤ - ١٨٥، وما ينبغي ذكره أن هذا الاضطراب جاء في طبعة الفهرست أوروية أيضاً.

وواضح أن العبارة الأخيرة ابتداءً من (والمصارعة) لا صلة لها بترجمة سعيد، وأكبر الظن أنها سقطت أو انتزعت من ترجمة بني المدبر وأقحمت في ترجمة سعيد، وإذا صحَّ هذا؛ فإنَّ لإبراهيم ديوان رسائل ولكنه فقد في جملة ما فقد من التراث!

أما أطول ما وصل إلينا من نثره، وأخطره، فالرسالة العذراء المنسوبة إليه، ولأهميتها من جهة، ولاشماليها على أمور نحسبها ما تزال بحاجة ماسة إلى وقفة علمية متأنية، فتوقف عندها قليلاً.

اشتهرت هذه الرسالة باسم (الرسالة العذراء)، وكأنَّ هذا الاسم أصبح عنواناً لها كسائر عناوين الكتب والمصنفات المشهورة، وكثيراً ما كان المقتبسون منها والمتحدثون عن صاحبها يشيرون إلى هذا الاسم. ولما كان الأمر كذلك، فمن حقِّ الدارس أن يقف عند هذا الاسم ليتحقق منه، ومن صحته، وفيما إذا كان من وضع صاحب الرسالة أو سواه.

ويبدو أن تسمية الرسالة بالعذراء جاءت من الفقرة الأخيرة في الرسالة وهي: (وهذه الرسالة عذراء...)<sup>(١)</sup>.

وأكبر الظن أن هذه التسمية لم تكن وضعت للرسالة في إبان إنشائها، وإنما ألحقت بها بعد زمنٍ طويل، وسنبيِّن موقفنا من الفقرة الأخيرة من هذه الرسالة في أعقاب حديثنا عنها. ولعلَّ في سكوت المصادر التي ترجمت لابن المدبر، أو ذكرت أن له ديوان رسائل، أو التي اقتبست من هذه الرسالة نصوصاً طويلة، أقول لعل في سكوتها عن ذكر هذه التسمية ما يؤيد ما نذهب إليه، فلو كانت هذه التسمية شائعة منذ إنشاء هذه الرسالة لما عدنا الإشارة إليها، ولو كانت هذه الإشارة عابرة - كما يقولون - في مصدرٍ قديم.

وقد نشر هذه الرسالة بهذا العنوان الأستاذ محمد كرد علي في

(١) جمهرة رسائل العرب ٢٤١/٤.

(رسائل البلغاء) والدكتور زكي مبارك، وأحمد فريد رفاعي في مجموعة (التذييل على المقدمة)، وأحمد زكي صفوت في (جمهرة رسائل العرب)<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

والحديث عن نسبة هذه الرسالة لا يقل أهمية عن اسمها، بل يحتاج إلى وقفة متأنية. فالنشرات السابقة نسبتها إلى إبراهيم بن المدبر، ويظهر أن ناشريها لم يقفوا عند أمر مهم جداً، كأن عليهم أن لا يغفلوه، أو لا يكتفوا بالإشارة السريعة إليه، دون إعطائه حقه من التحقيق والبحث. ومعلوم أن البت في صحة نسبة النص ليس بالأمر الهين، خاصة إذا كان هناك ما يشكك في هذه الصحة أو يضعفها.

فالأستاذ كرد علي جعل عنوان نشرته على هذا النحو:

#### الرسالة العذراء

في موازين البلاغة وأدوات الكتابة كتب بها أبو اليسر إبراهيم بن محمد المدبر<sup>(٢)</sup>.

ولكنه أشار في الحاشية إلى أمرين مهمين قائلاً:

١ - إن الرسالة (منقولة من مجموع قديم من كتب إسلامية للشيخ الطاهر الجزائري). وقد عرضناها على الأصل وعلى مخطوطة أخرى محفوظة بدار الكتب المصرية رقم (٨٠ مجاميع تيمور) وأنه رجع إلى العقد الفريد ونهاية الأرب لمقابلة النصوص الواردة فيهما.

٢ - جاء (في التيمورية: كتب أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني إلى إبراهيم بن محمد بن المدبر).

وتبعه في هذا أحمد زكي في الجمهرة، وأضاف أن ابن عبد ربّه

(١) ينظر: مجلة الأعلام ٤٥.

(٢) رسائل البلغاء ٢٢٧، وتبعه في هذا العنوان صاحب جمهرة رسائل العرب.

والتويري والقلقشندي كانوا يلقبون صاحبها بالشياني وقال: (والظاهر أنه ينتمي إلى شيان بالولاء)<sup>(١)</sup>.

أما الدكتور زكي مبارك فلم يُشر إلى نسخة مخطوطة معينة، ويظهر أنه اعتمد على نص كامل للرسالة وصححه على ما في العقد الفريد ونهاية الأرب فجاء عنوان نشرته على هذا النحو:

### الرسالة العذراء

لإبراهيم بن المدبر

مصححة ومشروحة مع مقدمة مفصلة بالفرنسية عن فن الإنشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث.

وجاءت نقول كثيرة من هذه الرسالة في العقد الفريد<sup>(٢)</sup>، وكان يُقدم لها بعبارة: قال إبراهيم بن محمد الشياني أو قال إبراهيم الشياني.

ويظهر أن التويري والقلقشندي قد نقلوا من العقد، ولهذا كانا يقدمان للنصوص المنقولة بقولهما: قال إبراهيم بن محمد الشياني، أو قال إبراهيم الشياني<sup>(٣)</sup> أيضاً.

وأشار الأستاذ هلال ناجي في نشره (كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم وتعريفها) للبغدادي إلى هذا الأمر، فقال في حديثه عن أهمية الكتاب الذي نشره: (والحقيقة العلمية الثانية التي كشفها هذا المخطوط هي تصحيح نسبة الرسالة العذراء وردّها إلى صاحبها، فالنصوص التي اقتبسها مصنفنا من الرسالة المذكورة نسبتها إلى الشياني. ومعلوم أن بعض مخطوطات الرسالة العذراء قد ذكرت صراحة ما نصّه:

(١) جمهرة رسائل العرب ٢٤١/٤ الحاشية.

(٢) ١٥٩/٤، ١٧١-١٧٢، ١٨٠-١٩٠، ٣٩٣/٥-٣٩٥.

(٣) ينظر: نهاية الأرب ١٢/٧-١٣، ١٩، وصبح الأعشى ٤٥١/٢، ٤٥٧، ٢/٣،

٢١٩/٦.

مما كتب به إبراهيم بن محمد الشيباني إلى إبراهيم بن محمد المدبر.

لذلك يكون ما ورد في مخطوطتنا معززاً لنسبة الرسالة إلى الشيباني لا إلى ابن المدبر. خلافاً لما ذهب إليه زكي مبارك وكرد علي في نشرتهما للرسالة العذراء. وجدير بالإشارة إلى ان القلقشندي في صبح الأعشى وابن عبد ربه في العقد الفريد قد نسا مقتبسَاتهما منها إلى الشيباني أيضاً، ويعزز رأي البغدادي الأكثر قدماً<sup>(١)</sup>.

وواضح أن فيما تقدم جملة أمور ينبغي الوقوف عندها والإلمام بها أو التساؤل عنها:

١ - يبدو أن أقدم المصادر التي نقلت فقرات طويلة من الرسالة وأشارت إلى اسم صاحبها صراحة هو العقد الفريد، ثم أعقبه النويري فالقلقشندي ولكنهم أسموا صاحبها - كما تقدم - إبراهيم بن محمد الشيباني.

٢ - إن المجموع القديم الذي وردت فيه هذه الرسالة - كما قيل - لا يرقى إلى تاريخ العقد الفريد، بل لعله لا يصل إلى تاريخ نهاية الأرب، ومن يدري فلهل من القرون المتأخرة عن صبح الأعشى. ولو ذكر تاريخ هذا المجموع كما هي الحال في أكثر ما يحقق من النصوص لساعدنا كثيراً على كشف الغموض عن هذه الرسالة.

٣ - إن هناك اضطراباً في اسم صاحب الرسالة كما ورد في نشرتي كرد علي وأحمد زكي. فالأول ذكر أن صاحبها (أبو اليسر إبراهيم بن محمد ابن المدبر) وأشار في أن الاسم جاء في نسخة تيمور على هذا النحو: (وكتب أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني إلى إبراهيم بن محمد ابن المدبر).

(١) مجلة المورد م ٢ ع ٢٤ ٤٥.

٤ - إنَّ أحمدَ زكي تَبَعَ كرد علي ولكنه حاولَ أن يُضيفَ شيئاً بعد أن أحسَّ بالاضطرابِ في لقب الرجلِ وهو (الشيبيانيّ) فقال: (والظاهرُ أنه ينتمي إلى شيبانَ بالولاء).

٥ - إنَّ ما جاء في كتابِ الكتابِ وصفةِ الدواةِ والقلمِ وتعريفها من إشاراتٍ إلى نصوصٍ وردت في الرسالةِ العذراء، لم ينصَّ البغداديّ فيها على اسمِ الشيبيانيّ صراحةً.

٦ - لم يلفتَ نظرَ أحدٍ من ناشريّ الرسالةِ - كما سلف - ما وردَ في العقدِ ونهايةِ الأربِ وصيغِ الأعشى والمجموعِ القديمِ أو نسخةِ تيمور من اختلافِ في اسمِ صاحبِ الرسالةِ أو النصوصِ المنقولةِ منها، وإنما اعتبروا الأمرَ شيئاً ثانوياً وانصبَّ همُّهم على النصِّ الذي نسبته المحدثون إلى ابنِ المدبرِ.

فمن هو أبو اليسرِ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ الشيبيانيّ، أو إبراهيمُ بنِ محمدِ الشيبيانيّ، ومن هو أبو اليسرِ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ المدبرِ؟ ولماذا أحجمَ ابنُ عبدِ ربِّهِ ومن نقلَ عنه من نعتِ صاحبِ الرسالةِ باللقبِ الذي عُرفَ به وهو (المدبرِ)، مع أنَّ ابنَ عبدِ ربِّهِ لقبَ أخاه أحمدَ بنِ المدبرِ بهذا اللقبِ؟<sup>(١)</sup>.

وتقدّمَ أنَّ كُنيةَ إبراهيمَ بنِ المدبرِ هي أبو إسحاق، ولم يكنْ معروفاً بكنيةٍ أخرى، وتقدّمَ كذلك أنَّ ابنَ المدبرِ كان يلقَّبُ بالصُّبيّ وبابنِ المدبرِ، وليسَ هناك في أخباره ما يشيرُ إلى أنه انتمى إلى شيبانَ.

وليسَ في أخباره التي وقفنا عليها ما يشيرُ إلى صلتهِ برجلٍ يسمى إبراهيمَ بنَ محمَّدِ الشيبيانيّ. هذه كلها حقائقٌ كان ينبغي أن لا تُغفلَ أو تُهملَ، لأنها من صُلبِ منهجِ البحثِ وتحقيقِ النصوصِ!

ثمَّ من هو أبو اليسرِ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ الشيبيانيّ؟ هل هو أحدُ رجالِ

(١) ينظر: العقد الفريد ٣/٢٣٤، ٤/١٧٠.

القرن الثاني أو الثالث؟، وهل جاء اسمه مرتبطاً فقط بالنقول التي ذكرها ابن عبد ربّه من رسالته؟.

الحقُّ أنّ ابن عبد ربّه كرّر هذا الاسم في أكثر من موضع من نقوله من الرسالة، وأنه نقل أخباراً أخرى عن الشيباني لا تمت إلى الرسالة بصلة، وكان يقدّم لها بقوله: (إبراهيم الشيباني قال...<sup>(١)</sup>)، (وقال إبراهيم الشيباني<sup>(٢)</sup>)، والأخبار التي ذكرها تتناول قصص الأعراب أو أبا دلامة أو بهلولاً المجنون، أو غير ذلك. ولعلّ أهمّ ما في هذه الأخبار ما يتعلّق بهلول، فقد جاء فيه: (وقال إبراهيم الشيباني: مررتُ بهلول المجنون وهو يأكل خبيصاً، فقلت: أطعمني، قال: ليس هو لي، إنّما هو لعاتكة بنت الخليفة بعثته إليّ لأكّله)<sup>(٣)</sup>.

وجديرٌ بالإشارة إلى أنّ بهلولاً هذا توفي سنة ١٩٠ هـ<sup>(٤)</sup>، وإذا صحّ هذا فمعنى ذلك أنّ إبراهيم الشيباني هذا كان موجوداً قبل ولادة إبراهيم بن المدبر - كما تقدّم -.

وفي العقد نصّ آخر مهمّ منقول عن إبراهيم بن محمّد الشيباني هذا يتعلّق بافتتاح الرسائل جاء فيه:

(لم تزل الكتب تُستفتح باسمك اللهم حتى أنزلت سورة هود وفيها... فكتب بسم الله، ثم نزلت...<sup>(٥)</sup>). وأهمية هذا النصّ تتجلّى في كونه غير موجود في الرسالة العذراء، فهل يعني هذا أنه نصّ آخر لا صلة له بالرسالة، أو أنّ الرسالة المنشورة سقط منها شيء. وأنّها كانت

(١) العقد الفريد ١/١٨٦ - ١٨٧، ٢٥٩، ٢٦٠.

(٢) نفسه ٣/٣٥، ١٥١/٦.

(٣) نفسه ١٥١/٦.

(٤) ينظر: الأعلام ٢/٥٦.

(٥) العقد الفريد ٤/١٥٨، وينظر: صبح الأعشى ٦/٢١٩.

أطول مما نشر منها؟ أو أن هناك كتاباً بهذا المعنى، وأن ابن عبد ربّه اقتطع منه ما شاء وما وافق غرضه؟.

ومن المهمّ جداً أن أُشير إلى أن هناك من سُمّي بإبراهيم بن محمّد، وكُنّي بأبي اليسر، ولُقّب بالشّيباني، فقد ترجم له صاحب الأعلام بما هذا نصّه:

الشّيباني: ٢٢٣ - ٢٩٨ هـ / ٨٣٨ - ٩١١ م:

إبراهيم بن محمّد الشّيباني، أبو اليسر، ويُعرف بالرياضيّ الكاتب: أديب، أصله من بغداد، واستقرّ في القيروان، فترأس ديوان الإنشاء لبني الأغلب ثمّ للفاطميين إلى أن توفي. من كتبه: (سراج الهدى) في معاني القرآن وإعرابه. و(مسند) في الحديث، و(قطب الأدب)، و(لقط المرجان) في الأدب<sup>(١)</sup>.

وبعد؛ فلمن تصحّ نسبة هذه الرسالة؟ واضح أن النسبة تترجّح بين اثنين هما: الشّيباني وابن المُدبّر، ويبدو أن ليس لهما شريك ثالث فيها، فإذا صحّ هذا، فمن هو صاحبها، أو لمن منهما ترجّح هذه النسبة؟.

الحقّ أننا لا نريد أن نبتّ في هذا الأمر أو القطع به، فالأمر ليس بهذه السهولة، ولكن نرى أن نضع بعض الحقائق بين يدي القراء لينطلقوا منها في الحكم أو الترجيح.

١ - ذكرنا أن ابن عبد ربّه نقل أخباراً عن الشّيباني غير ما نقله من فقرات كثيرة من هذه الرسالة، ومنها خبرٌ مرور الشّيباني بهلول المجنون، الذي توفي في سنة ١٩٠ هـ، وتقدّم أن الشّيباني الذي ترجم له الزركلي قد وُلِدَ في سنة ٢٢٣ هـ، وهذا يعني أن ولادته كانت بعد

---

(١) الأعلام ٥٧/١، ومن الجدير بالذكر أن مصدر الزركلي - كما يقول - كتاب صدور الأفاقة وهو مخطوط.

وفاة البهلول بمدّة طويلة، كما أنّ ولادة ابن المدبر كانت بعد وفاة البهلول بعشر سنين أو أكثر.

٢ - في الرسالة أعلام ذكر صاحبها السماع منهم أو الكتابة إليهم: فمما جاء من ذلك قوله: (فإني سمعتُ جعفر بن محمد الكاتب يقول...) (١). وقوله: (سمعتُ سعيد بن حميد الكاتب يقول...) (٢).

وقوله: (وسألني بعض أهل العلم أن أكتب له قصّة إلى جعفر بن عبد الواحد القاضي... فكتبتُ له قصّة لا تصلح... (٣). وأكبر الظنّ أن هؤلاء الرجال كانوا في جملة من اتصل بهم ابن المدبر أو اتصلوا به، وقد تقدّمت علاقته بسعيد بن حميد، ويظهر أن صلته بالرجلين الآخرين كانت وطيدة أيضاً.

٣ - ليس لدينا ما يُشير إلى أن الشيباني قد اتصل بواحد من هؤلاء الأعلام، فسمع منهم أو كتب إليهم، اللهم إلا إذا كان هناك شيباني آخر غير الذي ذكره صاحب الأعلام.

\* \* \*

تشيرُ مقدّمة الرسالة إلى أن أحدهم طلب إلى صاحبها إنشاءها، ولا

---

(١) جمهرة رسائل العرب ٢٠٩/٤٠. جعفر بن محمد: هو جعفر بن محمد بن خالد ابن ثوبة أحد الكتاب البلغاء الفصحاء، صاحب ديوان الرسائل توفي سنة ٢٨٤ هـ. (تاريخ بغداد ١٧٣/٧ - ١٧٥).

(٢) جمهرة رسائل العرب ٢١٧/٤. سعيد بن حميد: هو سعيد بن حميد الكاتب الشاعر ورئيس ديوان الإنشاء في عهد المستعين، توفي بعد سنة ٢٦٥ هـ، عن (رسائل سعيد بن حميد وأشعاره).

(٣) جمهرة رسائل العرب ٢٢٩/٤ - ٢٣٠. جعفر بن عبد الواحد: هو جعفر بن عبد الواحد ولي قضاء القضاة بسر من رأى في سنة ٢٤٠ هـ، وعزل عن القضاء في سنة ٢٥٠ هـ، وتوفي في سنة ٢٥٨ هـ. (معجم الأدباء ١٨٧/٧).

ندري إن كَانَ هناك شخصٌ حقيقيٌّ قد طَلَبَ ذلك، أو أنْ مُنَشئها جَرَى في هذا على ما جَرَى عليه سواه من ادِّعَاءٍ مثلِ هذا الطَلَبِ في مقدّمات رسائله وكتبه.

لقد ذَكَرَ مؤلِّفُ الرسالةِ في مقدّمِها إلى ما طَلَبَ منه وهو الكتابةُ في موازينِ البلاغةِ وأدواتِ الكتابةِ، فقال:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: فَتَقَّ اللَّهُ بِالْحِكْمَةِ ذَهْنَكَ، وَشَرَحَ بِهَا صَدْرَكَ، وَأَنْطَقَ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ، وَشَرَّفَ بِهِ بَيَانَكَ. وَصَلَ إِلَيَّ كِتَابُكَ الْعَجِيبُ الَّذِي اسْتَفْهَمْتَنِي فِيهِ - بِجَوَامِعِ كَلِمِكَ - جَوَامِعَ أَسْبَابِ الْبَلَاغَةِ، وَاسْتَكْشَفْتَنِي عَنْ غَوَامِضِ آدَابِ أَدْوَاتِ الْكِتَابَةِ: سَأَلْتَنِي أَنْ أَقْفَ بِكَ عَلَى وَزْنِ عُدُوبَةِ اللَّفْظِ وَحِلَاوَتِهِ، وَحُدُودِ فَخَامَةِ الْمَعْنَى وَجِزَالَتِهِ، وَرِشَاقَةِ نَظْمِ الْكِتَابِ، وَمُشَاكَلَةِ سَرْدِهِ، وَحُسْنِ افْتِتَاحِهِ وَخَتْمِهِ، وَانْتِهَاءِ فُصُولِهِ، وَاعْتِدَالِ وُصُولِهِ، وَسَلَامَتِهِمَا مِنَ الزَّلَلِ، وَيُعْدُهُمَا مِنَ الْخَطَلِ، وَمَتَى يَكُونُ الْكَاتِبُ مُسْتَحَقًّا اسْمَ الْكِتَابَةِ، وَالْبَلِيغُ مُسَلِّمًا لَهُ مَعَانِي الْبَلَاغَةِ، فِي إِشَارَتِهِ وَاسْتِعَارَتِهِ، وَإِلَى أَيِّ أَدْوَاتِهِ هُوَ أَحْوَجُ، وَبِأَيِّ آلَاتِهِ هُوَ أَعْمَلُ، إِذَا حَصَّصَ الْحَقُّ، وَدُعِيَ إِلَى السَّبْقِ، وَفَهَّمْتَهُ<sup>(١)</sup>).

إنَّ ما في الرسالةِ من الأخبارِ وأسماءِ الأعلامِ - وهي ليست قليلةً - تدلُّ على أن كتابتها لم تتعدَّ القرنَ الثالثَ الهجري، وتقدّم أن ابن المدبّر والشيباني كانا من رجالِ هذا القرنِ أيضاً.

كما جاءَ فيها ما يدلُّ على أن مؤلِّفها قد نهَضَ بالعملِ وهو يعاني أموراً كثيرةً غيرَ مريحةٍ. جاءَ فيها:

(وأنا راسمٌ لك - أيْذكُ الله - من ذلك ما يجمعُ أكثرَ شرائطك، ويُعبّرُ عن جُملةِ سؤالك، وإنْ طَوَّلْتُ في الكتابِ وعَرَّضْتُ، وأُطْنِبْتُ في الوصفِ

(١) جمهرة رسائل العرب ١٩٩/٤ - ٢٠٠.

وأسهبت، ومُستَقْصِ على نفسي في الجواب، على قَدْرِ استقصائك في السؤال، وإن أُخِلَّ بِهِ التِّبْثُ الحَالِ، وسكُونُ الحِرْكَةِ، وفتورُ النُّشَاطِ، وانتشارُ الرُويَّةِ، وتقسُّمُ الفِكرِ، واشتراكُ القلبِ، واللُّهُ المُستَعَانُ<sup>(١)</sup>.

وتقدَّم أن ابن المدبِّر تعرَّضَ إلى شيءٍ من اختلال الحَالِ في فترة من حياته، فهل يعني هذا أنه - إذا صحَّت نسبةُ الرسالةِ إليه - كتبها في غضون أيامِ نكبته، أو بعدها بقليل؟.

\* \* \*

إن من يقرأ الرسالةَ يجد أن صاحبها قد تأثر في بعض أجزائها وخاصةً فيما يتصلُ بدورِ اللفظِ والمعنى فيها بالبيانِ والتبيين للجاحظ، بل إن الرجل قد نظرَ طويلاً في كتابِ الجاحظ هذا، فنقلَ منه فقراتٍ نقلاً تاماً، واختزلَ في بعض الأحيانِ واقتضبَ ما بسطه أبو عثمانَ في مؤلفه المذكور.

وقد أشارَ الدكتور زكي مبارك إلى بعض تلك النُّقولِ<sup>(٢)</sup>، كما نبّه أحمد زكي صفوت إلى بعضٍ آخرٍ منها<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

والحديثُ عن أسلوبِ الرسالةِ العذراءِ، أو أسلوبِ ابنِ المدبِّرِ فيها باعتبارها أطولَ ما وصلَ إلينا من نثره على قِلتِه، يدعوننا إلى استحضارِ خصائصِ مدرسةِ الجاحظِ النثريةِ والتي من أهمها:

(تقطيعُ الجملةِ إلى فقراتٍ كثيرةٍ مقفأةٍ أو مرسلَةٍ، وزيادةُ الإطنابِ في الألفاظِ والجُمَلِ... وتحليلُ المعنى واستقصائه، وتحكيُمُ العقلِ والمنطقِ، والاعتراضُ بالجمَلِ الدُّعائيةِ)<sup>(٤)</sup>.

(١) جمهرة رسائل العرب ٢٠٠/٤.

(٢) ينظر: الرسالة العذراء ٣٤، ٤٢، ٤٤، ٤٦، ٤٧ (الهوامش).

(٣) ينظر جمهرة رسائل العرب ٢٣٢/٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩ (الهوامش).

(٤) تاريخ الأدب العربي للزيات ٢١٧ ط ٢٥.

إن الرسالة المذكورة انطوت على كثير من هذه الخصائص ، ولا غرو فإن ابن المدبر كان صديقاً حميماً للجاحظ، ومُعجباً بأدبه، وتقدّم أنه تأثر كثيراً بكتاب البيان والتبيين، ويظهر أن هذا التأثر جاوز حدود النقل إلى الأسلوب، حتى لأكاد أذهب إلى أن من يقرأ الرسالة هذه فكأنه يقرأ في كتاب الجاحظ الأنف الذكر!

وللتدليل على ما ذكرته أرى أن أتمثل بنموذجين من نثر ابن المدبر، أحدهما من رسالته، والآخر ممّا أثار له في أحد أصدقائه، قال:

(وكأما احلّولى الكلام وعذب ورقّ وسهلت مخارجه، كان أسهل ولوجاً في الأسماع، وأشدّ اتصالاً بالقلوب، وأخفّ على الأهواء، ولا سيما إذا كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مؤنق شريف، ومعبّراً بكلام مؤلّف رشيق، لم يشنه التكلف بميسمه، ولم يفسده التعقيد باستهلاكه)<sup>(١)</sup> وكتب إلى أحدهم قائلاً:

(ذكرت - جعلني الله فداك - خوفك إملاي، والزيادة في أشغالي بكثرة كتبك، فأقول: أخي، قدّمتُ قبلك، لم أرزق - فيما قلته - عدلك، هل يملُّ الروح جسده؟ والجسدُ جوارحه؟ والجوارحُ سلامتها. والسلامة دوامها؟ ظلمتني - عفا الله عنك - فأما الشغلُ فيك ولك فإنه غير منقطع بذكري، والفكرُ فيك، والشوقُ والنزاعُ إليك، والخوضُ والإفاضةُ في محاسنك...)<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) جمهرة رسائل العرب ٢٢٧/٤. والجدير بالذكر أن الجاحظ يقول في هذا المعنى: (وأحسنُ الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عزّ وجلّ قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه، وتقوى قائله. فإذا كان المعنى شريفاً، والنفطُ بليغاً، وكان صحيح الطبع، بعيداً من الاستكراه، ومنزهاً عن الاختلال، مصوناً من التكلف، صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة). البيان والتبيين ٨٣/١.

(٢) الصداقة والصديق ٤٤٣.

ومما لحظته في هذه الرسالة ميل صاحبها أحياناً إلى تكرار اللفظ والمعنى، ولعله كان يتوخى من ذلك التأكيد فيما كان يدعو له، ويذهب إليه في هذه الرسالة، من ذلك قوله: (بعد أن يكون الكاتب صحيح الفريضة، حلو الشمائل، عذب الألفاظ، دقيق الفهم، حسن القامة، بعيداً من القدماء، خفيف الروح، حاذق الحس، مُحَنَّكاً بالتجربة، عالماً بحلال الكتاب والسنة وحرامهما، وبالملوك وسيرها وأيامها، وبالدهور في قلبها وتداولها، مع براعة الأدب، وتأليف الأوصاف، ومشاكلة الاستعارة، وحسن الإشارة، وشرح المعنى بمثله من القول، حتى تنصب صوراً منطقية تُعرب عن أنفسها، وتدُلُّ على أعيانها، لأنَّ الحكماء قد شرطوا في صفات الكتاب: اعتدال القامة، وصغر الهامة، وخفة اللهازم، وكثافة اللحية، وصدق الحس، ولطف المذهب، وحلاوة الشمائل، وخفة الإشارة، وملاحة الزي، حتى قال بعض المهالبة لولده: (تزيوا بزِّي الكتاب، فإنَّ فيهم أدب الملوك، وتواضع السوقة).

ومن كمال آله الكتابة: أن يكون الكاتب بهي الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة، عطر الرائحة، دقيق الذهن، صادق الحس، حسن البيان، رقيق حواشي اللسان، حلو الإشارة، ملبح الاستعارة، لطيف المسلك، مستفزة المركب، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة، متفاوت الأجزاء، طويل اللحية، عظيم الهامة؟ فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة<sup>(١)</sup>.

وواضح أن في هذه الفقرات الكثير من الألفاظ والمعاني المكررة، وكان بالإمكان الاستغناء عن بعضها، والتتركيز على المطلوب من الأمر.

وقوله:

(إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء

(١) جمهرة رسائل العرب ٢٠٢/٤ - ٢٠٣.

والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم، فخاطب كلاً على قدر أبهته وجلالته، وعلوه وارتفاعه، وتفطنه وانتباهه... (١)، ثم يقول في المعنى نفسه:

(ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ، ومذاهبُ يجبُ عليك أن تراعيها في مراسلتك إياهم في كتبك، فترنَ كلامك في مخاطبتهم بميزانه، وتُعطيَه قِسْمه، وتوفيه نصيبه... (٢)، ثم يكرّر المعنى ذاته في موضعٍ ثالثٍ فيقول:

(ولكلُّ مكتوبٍ إليه قَدْرٌ ووزنٌ ينبغي للكاتب أن لا يتجاوزَ به عنه، ولا يقصّرَ به دونَه... (٣).

ومما جاء في الرسالة قول مؤلفها: (وانظرْ إلى سلاسة الحسنِ بن سهلٍ حيثُ قال:

شَرِستَ بَلْ لِنْتَ بَلْ قَابِلْتَ ذَاكَ بِذَا  
فَأَنْتَ لَا شَكَّ فِيكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ) (٤)

والمعروفُ أن البيتَ لأبي تمامٍ، وهو من قصيدة له في مدح المعتمصم (٥).

\* \* \*

وتنتهي الرسالة بفقرتين، وهما:

---

(١) نفسه ٢٠٣/٤.

(٢) نفسه ٢٠٤/٤.

(٣) جمهرة رسائل العرب ٢٠٧/٤، وينظر نماذج أخرى من هذا التكرار في المرجع

نفسه ٢٠٤/٤ - ٢٠٥، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢١.

(٤) نفسه ٢٢٨/٤.

(٥) ديوان أبي تمام ١١/٣، وفيه: (بل قانيت).

(وقال الخليل بن أحمد: كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبّقاً، ولتلك الحال وفقاً، وآخر كلامك لأوله مشابهاً، وموارده لمصادره موازناً فافعل، واحرص أن تكون لكلامك متهماً وإن ظُرف، ولنظامك مستريباً وإن لُطف، بمواتاة آلتك لك، وتصرف إرادتك معك، فافعل إن شاء الله.

وهذه الرسالة عذراء؛ لأنها بكر معانٍ لم تفتريها بلاغة الناطقين، ولا لمستها أكف المفوهين، ولا غاصت عليها فطن المتكلمين، ولا سبق إلى ألفاظها أذهان الناطقين، فاجعلها مثلاً بين عينيك، ومصورة بين يديك، ومسامرة لك في ليلك ونهارك، تهطل عليك شايب منافعها، ويظلك منها بركاتها، وتوردك مناهل بلاغتها، وتدلّك على مهجع رشدها، وتصدرك وقد نفع ظمؤك بينابيع بحر إحسانها إن شاء الله عز وجل، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم<sup>(١)</sup>.

وأغلب الظن أن الفقرة الثانية التي تبدأ بعبارة: (وهذه الرسالة عذراء) ليست من أصل الرسالة، وإنما هي مقحمة عليها، ولا يبعد أن يكون ذلك في عمل أحد النساخ المعجبين بها، ويظهر أنه عمد إلى مجازاة أسلوب المؤلف، فجاءت عبارته قوية تحاكي عبارات الرسالة.

أمّا الذي يحملنا على هذا الشك، وهذا الظن فأسباب، منها: أننا لم نعتد أن نجد في أعقاب الرسائل إطرأها من قبل أصحابها، كما نجد في هذه الرسالة.

ومنها:

أننا نشك في انزلاق ابن المدبر أو تبجحه في إطرأ هذه الرسالة، وهو يعلم ونحن نعلم كذلك، أنه نظر في كتب الآخرين وخاصة الجاحظ - كما تقدم - .

(١) الجمهرة ٢٤١/٤.

ومنها:

أن هذه الفقرة الأخيرة تكاد تكون نافرة عن مضمون الرسالة، وأن موقعها قلَّ مضطرب.

ومنها:

أن من نقل فقرات طويلة من هذه الرسالة لم يُشر إلى هذه الفقرة الأخيرة.

ومنها:

أن الرسالة تنتهي بانتهاء الفقرة السابقة لهذه الأخيرة. ومعلوم أن صاحب الرسالة قد نهج طريقة الكتاب في ذلك العصر بإنهاء رسالته بعبارة (فافعل، إن شاء الله)، وهي طريقة مألوفة معروفة، وقد وصلت إلينا رسائل كثيرة تنتهي بما انتهت به الرسالة العذراء<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من كل ما تقدّم، فإن لهذه الرسالة أهمية كبيرة، لأنها رائدة في صناعة الكتابة<sup>(٢)</sup>، بل لعلها تخرج من حدود الرسائل، إلى صنف المؤلفات، إنها كتّيب رصين بليغ في فن صناعة النثر.

شعره:

يظهر أن ميل ابن المدبر إلى الشعر لم يكن بأقل منه إلى النثر، بل لعل اهتمامه به أكثر، وهو به أعرف وأشهر، ومن أجل هذا فقد وصل إلينا من شعره أكثر مما وصل إلينا من نثره. وقد حفّلت ترجماته بشعره أكثر مما حفّلت بنثره. ولهذا قلّت نماذج نثره في تلك الترجمات، وكثرت النماذج الشعرية فيها.

(١) للوقوف على نماذج من انتهاء الرسائل - كما انتهت به الرسالة العذراء - يحسن الرجوع إلى جمهرة رسائل العرب، وعلى سبيل المثال لا الحصر، ١٠/٣، ١٠٧، ١٠٩، ١٢٤، ١٤٩، ١٦٤، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٣، ٨/٤، ٧٥، ١٨١، ١٨٢، ١٩١.

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١١٧/٢.

ولا نعرفُ على وجهِ الدقةِ متى بدأ يقولُ الشعرُ، وإن كنا قد وقفنا على حفظه نماذج منه في حديثه - كما تقدّم -.

غيرَ أنا نعرفُ من أخباره أن هناك مجالاتٍ غيرَ قليلةٍ كانت تستدعي قولَ الشعرِ. ويبدو أنه بدأ يتكسّبُ به في أوّلِ الأمرِ، إذا صحَّ ما جاء في الأغاني عن ابن المدبر نفسه الذي قال: (كنتُ وإبراهيمُ بنُ العباسِ رفيقين نتكسّبُ بالشعرِ...<sup>(١)</sup>)، ولا نعرفُ الأشخاصَ الذين قصدهم بهذا اللون من الشعرِ، ولكننا نعلمُ أنه امتدحَ ولادةَ عهدِ المتوكّلِ، كما مدحَ المتوكّلَ حين ألمّ به مرضٌ خطيرٌ، ومدحَ محمد بن عبد الله بن طاهر في أيام نكبته.

وأشار أبو الفرجِ إلى شعرِ إبراهيمِ هذا قائلاً:

(قرأتُ على ظهرِ دفترٍ فيه شعرُ إبراهيمِ بنِ المدبرِ أهدها مجموعاً إلى أخيه أحمدَ، فلما وصل إليه قرأه وكتبَ عليه بخطه:

أبا إسحاقَ إن تكن الليالي عَطْفَنَ عليكِ بالخَطْبِ الجسيمِ  
فلم أرَ صرْفَ هذا الدهرِ يجري بمكروهٍ على غيرِ الكريمِ)<sup>(٢)</sup>

(١) ١٨٣/٢٠. من الجدير بالذكر أن أبا الفرج روى الخبر بصورة أخرى عن ابن المدبر نفسه فقال: (وقال محمد بن داود، حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني إبراهيم ابن المدبر قال: حدثني إبراهيم بن العباس - قال: حدثني به دعبل أيضاً فكانا متفقين في الرواية - قال: كنا نطالب جميعاً بالشعر...). وينظر: بدائع البدائه ١٧٦، فقد جاء فيه أيضاً مثل هذه الرواية.

(٢) الأغاني ١٧٧/٢٢ مما يجدر ذكره أن ياقوت الحموي روى خبراً في هذا الشأن عن الجهشيارى قال فيه: (رأيتُ دفترأ بخط إبراهيم بن العباس الصولي فيه شعره، قال في حبس موسى بن عبد الملك إياه يصف غلظ ما فيه من الحبس وثقل الحديد والقيد، ويذكر موسى في شعره... وقد كتب أحمد بن مدبر بخطه في ظهر هذا الدفتر... ١٩٦/١)، وينظر: الطرائف الأدبية ١٨٨ فقد نقل محقق ديوان إبراهيم الصولي الخبر عن معجم الأدباء، وجعله في جملة ما ذيل به الديوان. وهذا وهم من الجهشيارى وياقوت ومحقق الطرائف، لأن الأبيات التي ذكرت في هذا الخبر من جملة أبيات قصيدة لابن المدبر قالها في الحبس.

ومعنى هذا أنّ الرجلَ بعد أن تجمَعَ لديه شيءٌ كثيرٌ من الشعرِ ارتأى جمعه في دفترٍ أو ديوانٍ وأهداه إلى أقرب الناسِ رحماً إليه وهو أخوه. ومعنى هذا أيضاً أنّ شعره أو ديوانه كان معروفاً بحيث استطاع أبو الفرج في القرن الرابع الاطلاع عليه، وربما استعان به في ترجمته لإبراهيم، ولعلّ النماذج الكثيرة التي انفرد بها أبو الفرج هي من ذلك الدفتر أو الديوان.

وأكبرُ الظنّ أنّ هذا المجموعَ ليسَ كلُّ ما أثر له من شعرٍ، ويظهرُ أنّه جمعه وهو في حبسِ المتوكّل، وبيّنا أخيه شاهدٌ على ذلك، وإذا صحَّ هذا، فلا بُدَّ أن يكونَ لابنِ المدبّرِ شعرٌ آخرٌ كثيرٌ لم يضمّه إلى هذا المجموعِ؛ لأنَّ الرجلَ عاشَ بعدَ خروجه من حبسِ المتوكّلِ حقبَةً من الزمنِ تُنقِفُ على ثلثِ قرنٍ.

غيرَ أنّ ابنَ النديمِ أشارَ في الفهرستِ إلى شيءٍ آخرَ يلفتُ النظرَ، فقد ذكرَ شعرَ أحمد بنِ المدبّرِ فقال:

(أحمدُ بنُ محمّدِ المدبّرِ سبعونَ ورقةً)<sup>(١)</sup>، ثمّ ذكرَ في موضعٍ آخرَ ضمنَ أسماءِ الشعراءِ الكتابَ الذين ذكرهم ابنُ حاجبِ النعمانِ في كتابه شعرَ ابني المدبّرِ أحمد وإبراهيمَ فقال:

(أحمدُ بنُ المدبّرِ أبو الحسنِ خمسونَ ورقةً، إبراهيمُ بنُ المدبّرِ مقلٌّ)<sup>(٢)</sup>.

ويُخيّلُ إلينا أنّ في روايةِ ابنِ النديمِ شيئاً من عدمِ الدقّةِ، وقد لا يستبعدُ أن يكونَ الأمرُ قد اختلطَ عليه في تقديرِ شعرِ الآخرين، فجاءت روايته مضطربةً، وغيرَ دقيقةٍ. ونحنُ نرى أنّ الأمرَ معكوسٌ فيما يتصلُ بمقدارِ شعريهما، وذلك لأسبابٍ عدّة:

(١) الفهرست ٢٤١.

(٢) نفسه ٢٤٢.

منها: أن ترجمة إبراهيم في المصادر كانت أوسع من ترجمة أخيه،  
وأنها أكثر اشتمالاً على النماذج الشعرية التي تُمثل بها من شعره ممّا في  
ترجمة أخيه.

ومنها: أن اهتمام إبراهيم بالشعر وتعاطيه له كانا أكثر مما لدى أخيه.

ومنها: أنه كان يستخدم شعره في التكسب، كما كان يمتدح به ولاة

الأمور.

ومنها: أن إبراهيم أكثر اتصالاً - كما تشير أخباره بالجواري، وأنه  
عُرِفَ بصلته القويّة بواحدةٍ منهنّ حتّى كانت له معها أخبارٌ معروفةٌ، وكان  
جزءٌ كبيرٌ ممّا وصل إلينا من شعره قد قيلَ في علاقته بهذه الجارية.

ومنها: أنه تعرّض إلى الحبس، الذي أوْحَى له بشعرٍ كثيرٍ معروف.

ومنها: أنه جمع شعره في دفتر، وهذا معناه كثرة هذا الشعر، وحرص

صاحبه عليه من الضياع.

ومنها: أن ما وصل إلينا من شعره يفوق كثيراً ما وصل إلينا من شعر

أخيه<sup>(١)</sup>.

إنّ ما استطعنا جمعه من شعر إبراهيم هو تسع وأربعون قصيدةً  
ومقطوعةً تقع جميعها في (٢٦٤) مائتين وأربعة وستين بيتاً.

ولا شك في أن ما وصل إلينا من شعره قليلٌ بالقياس إلى ما يجب

أن يكون عليه شعره للأسباب الآنفه الذكر.

فلم يصل إلينا شيءٌ كثيرٌ من شعره في حبسه الذي قال عنه أبو

الفرج: (ولإبراهيم في حبسه أشعارٌ كثيرةٌ مختارة)<sup>(٢)</sup>، كما فُقدَ شيءٌ كثيرٌ

(١) من الجدير بالإشارة أن ما وقفنا عليه من شعر أحمد بن المدبر يتألف من ست

مقطوعات تقع جميعها في (٢١) واحدٍ وعشرين بيتاً.

(٢) الأغاني ١٥٩/٢٢.

من شعره في (نبت) الذي ذكره أبو الفرج أيضاً قائلاً: (ولإبراهيم في نبت هذه أشعارٌ كثيرة...)(١).

\* \* \*

إن موهبة ابن المدبر الأديبة كانت موزعةً بين فني الشعر والنثر، وقد نجح إلى حدٍّ غير قليل في النهوض بهذين الفنين إلى ما يتناسب وتلك الموهبة، فكانت شاعريته جيدة، مكنته من أن يرتفع بشعره إلى مستوى شعر الكتاب الذي نرى من المفيد الاستثناس برأي ابن رشيقي فيه، وفي أصحابه، قال:

(والكتاب أرقُّ الناس في الشعر طبعاً، وأملحهم تصنيفاً، وأحلامهم ألفاظاً وأطفهم معاني، وأقدرهم على تصرف، وأبعدهم من تكلف... وليس يلزم الكاتب أن يجاري الشاعر في أحكام صنعة الشعر؛ لِرغبة الكتاب في حلاوة الألفاظ وطيرانها، وقلة الكلفة، والإتيان بما يخفُّ على النفس منها، وأيضاً فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي تظرفاً، لا عن رغبة ولا رغبة، فهم مُطلقون مُخلّون في شهواتهم، مسامحون في مذهبهم، إذ كانوا إنما يصنعون الشعر تخييراً واستظرافاً...)(٢).

إن أكثر ما جاء في كلام ابن رشيقي يصدق على شعر ابن المدبر وشاعريته، ففي شعره صدق عاطفة، ولطف معانٍ، وأناقة لفظ، وبعد عن التكلف، واقتصاد في الصنعة.

ورزق إبراهيم شاعريته مطوعةً، فكانت تمدُّه بكل ما كان يجول في نفسه، ويضطرب في وجدانه، ولهذا كثرت أخبار ارتجاله للشعر، وسرعة تجاوب شاعريته للحدث، وكان طويل النفس، ثر الخيال، مغناً.

(١) نفسه ١٦٤/٢٢.

(٢) ينظر: رسائل سعيد بن حميد وأشعاره ٥٦.

وعلى الرغم مما أثر له من فنونٍ شعرية: كالمديح والهجاء والعتاب، فإنَّ غزله وشكواه الذي يمثله ما قاله في حبسه يقفان في مقدّمة ما أثر له من فنون، إنهما يُمثّلان تمثيلاً صادقاً ما انطوت عليه مشاعر الرجل وإحساساته في حالاته المختلفة، من رضا وغضب، وهدوء واضطراب، إنهما صورةٌ حيّةٌ صادقةٌ لنفسِ شاعرةٍ متأثرةٍ<sup>(١)</sup>.

---

(١) للوقوف على نماذج من غزله وشكواه، يحسن الرجوعُ إلى النّصّ الشعريّ المثبت في أعقاب هذه الدراسة.

من الجدير بالذكر أن هناك بحثين كتبوا في إبراهيم بن المدبر: أحدهما: وأقدمهما بحث الأستاذ خالد محسن إسماعيل المنشور في مجلة الأقلام الجزء الحادي عشر - السنة الخامسة ١٩٦٩ ص ٣٣، وقد تناول فيه حياة ابن المدبر وأدبه.

والآخر: بحث الدكتور قحطان رشيد التميمي المنشور في مجلة الأستاذ، العدد الثاني ١٩٧٨ - ١٩٧٩ وتناول فيه شعر الرجل وشاعريته، ولم يحاول واحد منهما جمع شعر الرجل.



## شعر إبراهيم بن المدبر

- أ -

- ١ -

قال إبراهيم بن المدبر: (مجزوء الرمل)

١- لا تُظِلُّ عَذْلِي عَنَاءَ  
إِنَّ فِي الْعَذْلِ بَلَاءَ  
٢- لَسْتُ أَبْكِ بَطْنَ مُرٍّ  
فَكُدِّيًّا، فَكَدَاءَ

التخريج:

الأغاني ١٨٤/٢٢ - ١٨٥، وفيه: (... كان إبراهيم بن المدبر صديق أبي الصقر إسماعيل بن بلبل فلم يرض فعله لما نكب ولا نيابته عنه، فقال)، كذا جاء الخبر، وأكبر الظن أن هذا غير صحيح؛ لأن ابن الزيات قتل بعد مرور أربعين يوماً من خلافة المتوكل (وفيات الأعيان ٩٩/٥)، وإن حبس إبراهيم لم يكن قد حدث في ذلك الوقت.

التعريف:

٢- بطن مُرٍّ: من نواحي مكة، عنده يجتمع وادي النخلتين، فيصيران وادياً واحداً. =

- ٣- إِنَّمَا أَبُكِي خَلِيلاً  
 خَانَ فِي الْوُدِّ الصَّفَاءِ
- ٤- يَا أَبَا الصَّفْرِ سَقَاكَ الـ  
 لَّهُ تَهْتَانًا رَوَاءِ
- ٥- وَأَدَامَ اللَّهُ نَعْمًا  
 كَ، وَمَلَكَ الْبَقَاءِ
- ٦- لِمَ تَجَاهَلْتِ وِدَادِي  
 وَتَنَاسَيْتِ الْإِخَاءِ؟
- ٧- كُنْتِ بَرًّا فَعَلِي رَأُ  
 سِي تَعَلَّمْتِ الْجَفَاءِ
- ٨- لَا تَمِيلْنَ مَعَ الرَّيِّ  
 حِ إِذَا هَبَّتْ رُخَاءِ
- ٩- رَبُّمَا هَبَّتْ عَقِيمًا  
 تَتْرُكُ الدُّنْيَا هَبَاءِ

= كُدِّي: بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعين.

كداء: بأعلى مكة عند المحصب.

٤- تهتاناً: التهتان: مطرٌ يفتُر ثم يعود. الرّواء: من الماء: العذب والكثير المُرّوي.

٥- ملاك: أمتك.

٩- عقيماً: لا خير فيها.

\* \* \*

- ب -

- ٢ -

(كامل)

وقال:

- ١- كَيْفَ السُّرُورُ وَأَنْتِ نَازِحَةٌ  
عَنِّي، وَكَيْفَ يَسُوعُ لِي الطَّرْبُ
- ٢- إِنْ غَبَّتِ غَابَ الْعَيْشُ وَأَنْقَطَعَتْ  
أَسْبَابُهُ وَالْحَتِّ الْكُرْبُ

التخريج:

الأغاني ١٨١/٢٢ وفيه: (أخبرني علي بن العباس قال: حدثني أبي قال: كنت عند إبراهيم بن المدبر، فزارته بدعة وتحفة وأخرجتا إليه رقعة من عريب فقرأناها فإذا فيها:

بنفسي أنت وسمعي وبصري، وقلّ ذاك لك، أصبح يومنا هذا طيباً،  
طيب الله عيشك، وقد احتجبت سماؤه ورق هواؤه، وتكامل صفاؤه، فكأنه  
أنت في رقعة شمائلك وطيب محضرك ومخبرك، لا فقدت ذلك أبداً منك،  
ولم يصادف حسنه وطيبه مني نشاطاً ولا طرباً لأمر صدتني عن ذلك، أكره  
تغيب ما أشتهيه لك من السرور بنشرها. وقد بعثت إليك بدعة وتحفة  
ليؤنسك وتسرّ بهما، سرّك الله وسرّني بك، فكتب إليها يقول (البيتان).

وأنفذ الجواب إليها، فلم يلبث أن جاءت، فبادر إليها، وتلقاها حافياً  
حتى جاء بها على حمار مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه، يطأ الحمار  
على بساطه وما عليه، حتى أخذ بركابها، وأنزلها في صدر مجلسه وجلس  
بين يديها، ثم قال: (البيان رقم «٨»).

\* \* \*

(مديد)

وقال:

- ١- زَعُمُوا أَنِّي أَحِبُّ عَرِيبًا  
صَدَقُوا وَاللَّهِ حُبًّا عَجِيبًا
- ٢- حَلَّ مِنْ قَلْبِي هَوَاهَا مَحَلًّا  
لَمْ تَدْعُ فِيهِ لِخَلْقٍ نَصِيبًا
- ٣- لَيَقُلُّ مَنْ قَدْ رَأَى النَّاسَ قِدْمًا:  
هَلْ رَأَى مِثْلَ عَرِيبٍ عَرِيبًا؟
- ٤- هِيَ شَمْسٌ وَالنِّسَاءُ نُجُومٌ  
فَإِذَا لَاحَتْ أَفْلَنَ عُيُوبًا

التخريج:

الأغاني ١٧٩ / ٢٢، وفيه: (أنشدني الصُّولي - رحمه الله - لإبراهيم  
ابن المدبر في عريب).

\* \* \*

(وافر)

وقال:

- ١- أَحَقُّ النَّاسِ كُلَّهُمْ بِعَيْبٍ  
مُسِيءٌ لَا يُبَالِي أَنْ يُعَابَا

التخريج:

محاضرات الأدباء ٣٩١/١.

\* \* \*

(طويل)

وقال:

- ١- لَعَمْرُكَ مَا صَوْتُ بَدِيعٍ لِمَعْبَدٍ  
بِأَحْسَنَ عِنْدِي مِنْ كِتَابِ عَرِيبٍ
- ٢- تَأَمَّلْتُ فِي أَثْنَائِهِ خَطَّ كَاتِبٍ  
وَرِقَّةَ مُشْتَاقٍ، وَلَفْظَ خَطِيبٍ
- ٣- وَرَاجَعَنِي مِنْ وَصْلِهَا مَا اسْتَرْقَنِي  
وَزَهَّدَنِي فِي وَصْلِ كُلِّ حَبِيبٍ
- ٤- فَصِرْتُ لَهَا عَبْدًا مُقْرَأً بِمَلِكِهَا  
وَمُسْتَمْسِكًا مِنْ وُدِّهَا بِنَصِيبٍ

التخریج:

الأغاني ١٦٢/٢٢، وفيه: (حدّثني جعفر بن قدامة قال: كتبت عريباً من سرّ من رأى إلى إبراهيم بن المدبر كتاباً تشوقه فيه، وتخبره باستيحاشها له، واهتمامها بأمره، وأنها قد سألت الخليفة في أمره، فوعدها بما تحب، فأجابها عن كتابها، وكتب في آخر الكتاب).  
والأبيات في نهاية الأرب ١٠٨/٥ عن الأغاني.

التعريف:

٣- نهاية الأرب: (ما استفزني).

\* \* \*

(سريع)

وقال:

التخریج:

الأغاني ١٦٨/٢٢ وفيه: (قال جعفر (أي ابن قدامة): وغنته يوماً =

- ١- مَلَكْتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ  
 أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي  
 ٢- وَقَالَ إِنِّي فِي الْهَوَى كَاذِبٌ  
 فَأَنْتَقَمَ اللَّهُ مِنَ الْكَاذِبِ

= كِرَاعَةٌ بِسُرٍّ مِنْ رَأَى وَنَحْنُ حَاضِرُونَ عِنْدَهُ: ...  
 فزاد فيهما قوله).

والبيان في دلائل الإعجاز ١٥٦، ومعاهد التنصيص منسوبان إلى  
 اليزيدي وفي شعر اليزيديين ٢٠٢ عن دلائل الإعجاز، ومعاهد التنصيص.

التعريف:

٢- في المعاهد: (انتقم).

\* \* \*

- ٧ -

(مقارب)

وقال:

- ١- قُلْ لِابْنِ حَمْدُونَ ذَاكَ الْأَرِيبِ  
 وَذَاكَ الظَّرِيفِ وَذَاكَ الْحَسِيبِ  
 ٢- كِتَابِي إِلَيْكَ بِشَكْوَى عَرِيبِ  
 لَوْجِدِ شَدِيدِ وَشَوْقِ عَجِيبِ

التخریج:

الأغاني ١٦٦/٢٢، وفيه: (وأخبرني جعفر قال:  
 زارت عريبَ إبراهيم بن المدبر وهو في داره على الشاطئ في  
 المطيرة واقترحت عليه حضور أبي العيس فكتب إبراهيم).

- ٣- وَشَوْقِي إِلَيْكَ كَشَوْقِ الْغَرِيبِ  
إِلَى أَرْضِهِ بَعْدَ طُولِ الْمَغِيبِ
- ٤- وَيَوْمِي إِنْ أَنْتَ تَمَّمْتَهُ  
بِقُرْبِكَ ذُو كُلِّ حُسْنٍ وَطِيبِ
- ٥- حَبَانِي الزَّمَانَ كَمَا أَشْتَهِي  
بِقُرْبِ الْحَبِيبِ وَبَعْدِ الرَّقِيبِ
- ٦- فَمَا زِلْتُ أَشْرَبُ مِنْ كَفِّهِ  
وَأَسْقِيهِ سَقَى اللَّطِيفِ الْأَدِيبِ
- ٧- وَيَشْكُو إِلَيَّ وَأَشْكُو إِلَيْهِ  
بِقَوْلٍ عَفِيفٍ، وَقَوْلٍ مُرِيبِ
- ٨- إِلَى أَنْ بَدَأَ لِي وَجْهُ الصَّبَاحِ  
كَوَجْهِكَ ذَاكَ الْعَجِيبِ الْغَرِيبِ
- ٩- فَلَا تُخْلِنَا يَا نِظَامَ السُّرُورِ  
رِ مِنْكَ فَأَنْتَ شِفَاءُ الْكَيْبِ
- ١٠- وَغَنَّ لَنَا هَرْجًا مُمَسِكَاً  
تَخِفُّ لَهُ حَرَكَاتُ اللَّبِيبِ
- ١١- فَإِنَّكَ قَدْ حُزْتَ حُسْنَ الْغِنَاءِ  
وَقَدْ فُزْتَ مِنْهُ بِأَوْفَى نَصِيبِ

التعريف:

٨- في رواية: (الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ).

١٠- في رواية: (يَحْنُ إِلَيْهِ فُوَادُ).

١٢- وَكُنْ - بِأَبِي أَنْتَ - رَجَعَ الْجَوَابِ  
فِداؤُكَ أَنْفُسُنَا مِنْ مُجِيبِ

\* \* \*

- ٨ -

وقال: (طويل)

١- أَلَا رَبُّ يَوْمَ قَصَرَ اللَّهُ طَوْلَهُ  
بِقُرْبِ عَرِيبٍ حَبْذا هُوَ مِنْ قُرْبِ  
٢- بِهَا تَحْسُنُ الدُّنْيَا وَيَنْعَمُ عَيْشُهَا  
وَتَجْتَمِعُ السَّرَاءُ لِلْعَيْنِ وَالْقَلْبِ

التخریج:

الأغاني ١٨٢/٢٢، ونهاية الأرب ١١٠/٥.

\* \* \*

- ٩ -

وقال: (طويل)

١- إِلَى اللَّهِ أَشْكُو وَحَشْتِي وَتَفْجُجِي  
وَبُعْدَ الْمَدَى بَيْنِي وَبَيْنَ عَرِيبِ

التخریج:

الأغاني ١٧٤/٢٢، وفيه: (أخبرني جعفر بن قدامة قال:  
اتصلت لعريب أشغال دائمة... فلم يرها إبراهيم بن المدبر مدة،  
فكتب إليها (الآبيات). لعريب في هذه الآبيات خفيف ثقيل من رواية ابن  
المعتمر وهو من مشهور غنائها).

- ٢- مَضَى دُونَهَا شَهْرَانِ لَمْ أَحَلَّ فِيهِمَا  
 بِعَيْشٍ وَلَا مِنْ قُرْبِهَا بِنَصِيبٍ  
 ٣- فَكُنْتُ غَرِيباً بَيْنَ أَهْلِي وَجِيرَتِي  
 وَلَسْتُ - إِذَا أَبْصَرْتُهَا - بِغَرِيبٍ  
 ٤- وَإِنَّ حَبِيباً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ  
 حَقِيقٌ بِأَنْ يُفَدَى بِكُلِّ حَبِيبٍ

التعريف:

٢- لم أحل: لم ألد.

\* \* \*

- ١٠ -

وقال: (طويل)

- ١- وَإِنِّي لِأَسْتَنْشِي الشُّمَالَ إِذَا جَرَتْ  
 حَنِيناً إِلَى الْأَفِّ قَلْبِي وَأَحْبَابِي  
 ٢- وَأَهْدِي مَعَ الرِّيحِ الْجَنُوبِ إِلَيْهِمْ  
 سَلَامِي وَشَكْوَى طَوْلِ حُزْنِي وَأَوْصَابِي

التخریج:

الأغاني ١٨٤/٢٢، وفيه: (وأشدني (أي علي بن العباس) عن أبيه  
 لإبراهيم بن المدبر وهو محبوس).

التعريف:

- ١- استنشى: أشم. الشمال: الريح التي تهب من جهة الشمال.  
 ٢- أوصابي: أوجاعي.

٣- فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ عَرِيبٌ عَلِيمَةٌ  
بِذَلِكَ أَوْ نَامَ الْأَجْبَةُ عَمَّا بِي

٣- فَيَا لَيْتَ شِعْرِي: لَيْتَ عِلْمِي، أَوْ لَيْتَنِي عَلِمْتُ.

\* \* \*

- ح -

- ١١ -

وقال: (طويل)

١- مَعَاذِي وَجَارِي وَجْهَكَ الْيَوْمَ إِنَّهُ  
هُوَ الْوَجْهُ مَنْ يَبْغِي بِهِ النَّجْحَ يَنْجَحُ  
٢- وَعَدْلُكَ مَبْسُوطٌ وَأَمْنُكَ شَامِلٌ  
وَحِلْمُكَ مِنْ تَهْلَانٍ أَوْفَى وَأَرْجَحُ

التخريج:

ربيع الأبرار ١/٤١٩ ولم يشر إلى اسم إبراهيم، وإنما جاء فيه:  
(ابن المدبر في عبئد الله بن يحيى بن خاقان)، ومن المرجح أن  
يكون البيتان له وأنه قالهما وهو في الحبس.

التعريف:

١- معاذي: المعاذ: المَلْجَأُ وَالْمَلَاذُ.  
٢- تهْلَان: جِبَلٌ صَخْمٌ فِي بِلَادِ بَنِي نَمِيرٍ.

\* \* \*

وقال: (مجزوء الرمل)

- ٢- بِأَبِي مَنْ بَاتَ عِنْدِي  
طَارِقاً مِنْ غَيْرِ وَعَدِ  
٢- بَاتَ يَشْكُو أَلَمَ الشُّو  
قِ، وَأَشْكُو فَرَطَ وَجْدِي  
٣- وَتَجَنُّى فَبَكَى فَأَذُ  
هَلْ دُرٌّ فَوْقَ وَرِدِ  
٤- فَيَدُّ تَحْتَ يَدِ طَوْ  
رَأُ، وَخَدُّ فَوْقَ خَدِّ

التخريج:

الفرج بعد الشدة ١٢٤/٢، وفيه:

(ذكر ابن عبدوس في أخبار الوزراء: أن نجاح بن سلمة، حبس إبراهيم بن المدبر مكابدة لأخيه، وذلك في أيام المتوكل. فلما طال حبس إبراهيم، ولم يجد حيلة في الخلاص، عمل أبياتاً، وأنفذها إلى المسدود الطنبوري، وسأله أن يعمل فيها لحناً، ويغني بها المتوكل، فإذا سأل عن قائلها، عرفه أنها له. ففعل المسدود ذلك، وسأله المتوكل، فقال: ليعبدك إبراهيم بن المدبر، فذكره، وأمر بإطلاقه: والأبيات هي).

التعريف:

٢- فرط وجدى: الفرط: تجاوز الحد.

٣- تجنى: ادعى عليه جنابة لم يفعلها. انهل الدمع: تساقط.

\* \* \*

وقال: (مجزوء الكامل)

- ١- الهَجْرُ لا مُسْتَحْسَنُ  
بَعْدَ المَوائِقِ والعُهُودِ
- ٢- وَأَرَاكَ مُغْرَاةً بِهِ  
أَفَمَا غَرَضْتِ مِنَ الصُّدُودِ
- ٣- إِنِّي أَجِدُّ لَذَّتِي  
مَا لَاحَ لِي يَوْمَ جَدِيدِ
- ٤- شُرْبِي مُعْتَقَةُ الكُرُومِ،  
وَنُزْهَتِي وَرْدُ الخُدُودِ

التخریج:

الأغاني ١٦٧/٢٢، وفيه: (أخبرني جعفر (أي ابن قدامة) قال: غنى أبو العبيس بن حمدون يوماً عند إبراهيم: (بيتان). فزاد فيه إبراهيم قوله (الآبيات). فغنى هذه الآبيات أبو العبيس متصلةً باللحن الأول في البيتين وصارَ الجميعُ صوتاً واحداً إلى الآن، والآبياتُ الأخيرةُ لإبراهيم بن المدبر، والأولانِ لِيَسالَه).  
ملاحظة: ضبطَ المحققُ قافيةَ الآبياتِ بالكسر، وضبطَ الثالثَ بالضم، وعلّقَ على ذلك في الهامشِ بقوله: (في البيتِ إقواء).  
والصحيحُ أنَّ القافيةَ ساكنةٌ، فلا إقواءَ عندئذٍ.  
والجديرُ بالذكرُ أنَّ هناكَ روايةً أخرى لعجزِ البيتِ الثالثِ وهي: (ما دمتُ في يومٍ جديدٍ) وبذلك يصحُّ أن تكونَ القافيةُ مكسورةً.

التعريف:

- ٢- مُغْرَاةٌ: مُولَعَةٌ، من أغرى بالشيء: أُولِعَ. غَرَضَ من الشيء: مَلَّ ووضِعَ.
- ٤- المعْتَقَةُ: الخمرُ التي تُتْرَكُ لِتَقْدَمَ وَتَطْيِبَ.

وقال:

(طويل)

- ١- اتَّعَلَّمْ يَا مَيْمُونُ مَازَا تُهَيِّجُهُ  
بِذِكْرِكَ أَحْبَابِي وَحِفْظِهِمُ الْعَهْدَا
- ٢- وَوَصَفِ عَرِيبٍ فِي كَرِيمِ وَقَائِهَا  
وَإِجْمَالِهَا ذِكْرِي وَإِخْلَاصِهَا الْوُدَّاءُ؟
- ٣- عَلَيْهَا سَلَامِي إِنْ تَكُنْ دَارُهَا نَأَتْ  
فَقَدْ قَرَّبَ اللَّهُ الَّذِي بَيْنَنَا جِدًّا
- ٤- سَقَى اللَّهُ دَارًا بَعْدَنَا جَمَعْتَكُمْ  
وَسَكَّنَ رَبُّ الْعَرْشِ سَاكِنَهَا الْخُلْدَا
- ٥- وَخَصَّ أَبَا عَيْسَى الْأَمِيرَ بِنِعْمَةٍ  
وَأَسْعَدَ فِيمَا أُرْتَجِيهِ لَهُ الْجَدًّا

التخریج:

الأغاني ١٧٧/٢٢ - ١٧٨ وفيه:

(أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني ميمون بن هارون قال:  
اجتمعت مع عريب في مجلس أنس بسر من رأى عند أبي عيسى  
ابن المتوكل، وإبراهيم بن المدبر يومئذ ببغداد، فمر لنا أحسن يوم،  
وذكرته عريب فتشوقته، وأحسنت الثناء عليه والذكر له، فكتبت إليه بذلك  
من غدي، وشرحته له، فأجابني عن كتابي وكتب في آخره).

التعريف:

٢- الإجمال: الإحسان.

٤- في رواية: (رَبُّ الْخُلْدِ).

٦- فَمَا تَمَّ مِنْ مَجْدٍ وَطَوَّلٍ وَسُودِدٍ  
وَرَأْيٍ أَصِيلٍ يَصْدَعُ الْحَجَرَ الصَّلْدَا

٦- الطُّوْلُ: الفضل والغنى واليسر. يَصْدَعُ: يشقُّ ويكسر.

\* \* \*

- ر -

- ١٥ -

(بسيط)

وقال:

١- نَبَتْ إِذَا سَكَتَتْ كَانَ السُّكُوتُ لَهَا  
زَيْنًا، وَإِنْ نَطَقَتْ فَالْدَّرُ يَنْتَشِرُ  
٢- وَإِنَّمَا أَقْصَدْتُ قَلْبِي بِمُقْلَتِهَا  
مَا كَانَ سَهْمٌ وَلَا قَوْسٌ وَلَا وَتْرٌ

التخریج:

الأغاني ١٦٤/٢٢.

التعريف:

١- (ينتشر) كذا في الأصل، ولعلها (ينتشر) بالثناء، جاء في التاج: (درُّ مُتَنَائِرٌ، وَمُنْتَرٌ، وَنَيْثَرٌ، وَمَنْثُورٌ).

ويبدو أن الانتشار لا يستعمل مع الدرِّ؟.

٢- أَقْصَدْتُ: أَصَابْتُ فَلَمْ تُحْطِئْ.

\* \* \*

وقال:

(طويل)

- ١- دَعَوْتُكَ مِنْ كَرْبٍ فَلَبَّيْتَ دَعْوَتِي  
وَلَمْ تَعْتَرِضْنِي - إِذْ دَعَوْتُ - الْمَعَاذِرُ
- ٢- إِلَيْكَ - وَقَدْ حُلَّتْ - أُرِدْتُ هِمَّتِي  
وَقَدْ أَعْجَزْتَنِي عَنْ هُمُومِي الْمَصَادِرُ
- ٣- نَمَى بِكَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْعِزِّ وَالْعُلَا  
وَحَازَ لَكَ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلَّ طَاهِرُ
- ٤- فَانْتُمْ بَنُو الدُّنْيَا وَأَمْلَاكُ جَوْهَا  
وَسَاسَتُهَا وَالْأَعْظَمُونَ الْأَكَابِرُ

التخریج:

الأغاني ١٦١/٢٢ - ١٦٢، وفيه:

(أخبرني عمي عن محمد بن داود):

أَنَّ حَبْسَهُ طَالَ، فَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِي خَلَاصِهِ مِنْهُ حِيلَةٌ مَعَ عَضْلِ  
عُبَيْدِ اللَّهِ وَقَضِيهِ إِيَّاهُ، حَتَّى تَخَلَّصَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ، وَجَوَّدَ  
الْمَسْأَلَةَ فِي أَمْرِهِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ، وَبِذَلِكَ أَنْ يَحْتَمَلَ فِي مَالِهِ كُلِّ  
مَا يُطَالَبُ بِهِ، فَأَعْفَاهُ الْمَتَوَكِّلُ مِنْ ذَلِكَ، وَوَهَبَهُ لَهُ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ اسْتِغَاثَ بِهِ  
وَمَدَحَهُ، فَقَالَ). وَالْأَبْيَاتُ فِي إِعْتَابِ الْكِتَابِ ١٦١ - ١٦٢.

التعريف:

٢- حُلَّتْ: مُنِعَتْ وَطُرِدَتْ.

٣- نَمَى الشَّيْءُ: رَفَعَهُ وَأَعْلَى شَأْنَهُ. الْمُؤْتَلُّ: الْمُؤَصَّلُ وَالثَّابِتُ

٤- إِعْتَابَ الْكِتَابِ: (وَأَمْلَاكُ شَرْقِهَا).

- ٥- مَآثِرُ كَانَتْ لِلْحُسَيْنِ وَمُضْعَبٍ  
وَطَلْحَةَ لَا تَحْوِي مَدَاهَا الْمَفَاخِرُ
- ٦- إِذَا بَدَلُوا، قِيلَ: الْغُيُوثُ الْبَوَاكِرُ  
وَإِنْ غَضِبُوا، قِيلَ: اللَّيُوثُ الْهَوَاصِرُ
- ٧- تُطِيعُكُمْ يَوْمَ اللَّقَاءِ الْبَوَاتِرُ  
وَتَزْهُو بِكُمْ يَوْمَ الْمَقَامِ الْمَنَابِرُ
- ٨- وَمَا لَكُمْ غَيْرَ الْأَسْرِ مَجْلِسُ  
وَلَا لَكُمْ غَيْرَ السُّيُوفِ مَخَاصِرُ
- ٩- وَلِي حَاجَةٌ إِنْ شِئْتَ أَحْرَزْتَ مَجْدَهَا  
وَسَرَّكَ مِنْهَا أَوْلُ ثُمَّ آخِرُ
- ١٠- كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَظْفُهُ  
فَمَا لِي بَعْدَ اللَّهِ غَيْرَكَ نَاصِرُ
- ١١- وَإِنْ سَاعَدَ الْمَقْدُورُ فَالْنُّجْحُ وَاقِعٌ  
وَإِلَّا فَإِنِّي مُخْلِصُ الْوُدِّ شَاكِرُ

٦- الغيوث: جمع غيث، وهو المطر. الهواصر: الكواصر المحطمة.

٧- إعتاب الكتاب: (تُعْظِمُكُمْ وَتُزْهِو بِكُمْ يَوْمَ الْمَقَالِ).

٨- إعتاب الكتاب: (فَمَا لَكُمْ). المخاصر: ما يأخذه الملك بيده يشير به، إذا خاطب،  
والخطيبُ إذا خطب.

١١- إعتاب الكتاب: (المقدار).

\* \* \*

وقال: (كامل)

١- أَدْمَوْعُهَا أُمُّ لَوْلُؤُ مُتَنَائِرُ  
يَنْدَى بِهِ وَرْدٌ جِنِيٌّ نَاصِرُ

ومنها:

٢- لَا تُؤَيِّسَنَّكَ مِنْ كَرِيمِ نَبْوَةٍ  
فَالسَّيْفُ يَنْبُو وَهُوَ عَضْبٌ بَاتِرُ  
٣- هَذَا الزَّمَانُ تَسُومُنِي أَيَّامُهُ  
خَسْفًا، وَهَآنَذَا عَلَيْهِ صَابِرُ  
٤- إِنْ طَالَ لَيْلِي فِي الْإِسَارِ فَطَالَمَا  
أَفْنَيْتُ دَهْرًا لَيْلُهُ مُتَقَاصِرُ

التخريج:

الأغاني ١٥٩/٢٢ - ١٦٠، وفيه:  
(ولإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حسان مختارة، منها قوله في قصيدة أولها)، والأبيات في: الوافي بالوفيات ١٠٨/٦، وفوات الوفيات ٤٥/١.

التعريف:

- ١- الوافي: (يرقى به الوردُ الجنيُّ الزاهرُ)، الفوات: (الوردُ الجنيُّ الزاهرُ) الجنيُّ: ما جني لساعته من كلِّ ثمر.
- ٢- الوافي والفوات: (لا يؤيسنك).  
نبوة: نبا السيف عن الضربة، نبوة: لم يُصَبِّها.  
العَضْبُ: السيفُ القاطعُ.
- ٣- تسومني خسفاً: توليني إياه.

- ٥- وَالْحَبْسُ يَحْجِبُنِي وَفِي أَكْنَافِهِ  
 مَنِّي عَلَى الضَّرَاءِ لَيْثٌ خَادِرٌ  
 ٦- عَجَباً لَهُ كَيْفَ التَّقَتْ أَبْوَابُهُ  
 وَالْجُودُ فِيهِ وَالْغَمَامُ الْبَاكِرُ؟  
 ٧- هَلَّا تَقَطَّعَ أَوْ تَصَدَّعَ أَوْ وَهَى  
 فَعَدَّرْتُهُ؛ لَكِنَّهُ بِي فَاحِرٌ

٥- الوافي والفوات: (والسجن). أكنافه: نواحيه. الضراء: الشدة والضيقة.  
 خادر: ملازم لأجمته.  
 ٦- الفوات والوافي: (والربيع الباكر).

\* \* \*

- ١٨ -

وقال: (وافر)

- ١- تَسَلَّى لَيْسَ طُولُ الْحَبْسِ عَاراً  
 وَفِيهِ لَنَا مِنَ اللَّهِ اخْتِبَارٌ

التخريج:

الأغاني ١٥٩/٢٢، وفيه:

(حدثني عمي قال: حدثني محمد بن داود بن الجراح قال:  
 كان أحمد بن المدبر ولي لعبيد الله بن يحيى بن خاقان عملاً، فلم  
 يحمد أثره فيه، وعمل على أن ينكبه، وبلغ أحمد ذلك فهرب، وكان  
 عبيد الله منحرفاً عن إبراهيم، شديد النفاسة عليه برأي المتوكل فيه، فأغراه  
 به، وعرفه خبر أخيه، وأدعى عليه مالا جليلاً، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه،  
 وأوغر صدره عليه حتى أذن له في حبسه فقال وهو محبوس).

التعريف:

١- في رواية: (تسل فليس طول الحبس عاراً).

- ٢- فَلَوْلَا الْحَبْسُ مَا بُلِيَ اصْطِبَارٌ  
 وَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا عُرِفَ النَّهَارُ  
 ٣- وَمَا الْأَيَّامُ إِلَّا مُعْقِبَاتٌ  
 وَلَا السُّلْطَانُ إِلَّا مُسْتَعَارٌ  
 ٤- وَعَنْ قَدَرٍ حُبْسَتْ فَلَا نَقِيضُ  
 وَفِي مَا قَدَّرَ اللَّهُ الْخِيَارُ  
 ٥- سَيُفْرَجُ مَا تَرَيْنَ إِلَى قَلِيلٍ  
 مُقَدَّرُهُ، وَإِنْ طَالَ الْإِسَارُ

= في المتن جاءت الكلمة: (اختبار) (اختيار)، ووردت كما أثبتناها في فهرس القوافي. الاختبار: الامتحان.

٢- بُلِيَ: أُخْتَبِرَ.

٣- مُعْقِبَاتٌ: يعقب بعضها بعضاً بالخير والشر أو بالنور والظلام.  
 مُسْتَعَارٌ: عَارِيَةٌ.

٤- الْخِيَارُ: الاختيار.

\* \* \*

- ١٩ -

(مجزوء الخفيف)

وقال:

التخريج:

الأغاني ١٨٣/٢٢، وفيه:

(وحدثني عليُّ (بنُ العباس) قال: حدَّثني أبي قال:

دَخَلْتُ لَيْلَةً عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِيِّ فِي أَيَّامِ نَكْبَتِهِ بِبَغْدَادَ فِي لَيْلَةِ غَيْمٍ، فَلَاحَ بَرْقٌ مِنْ قُطْبِ الشَّمَالِ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ، فَقَطَعَ الْحَدِيثَ، وَأَمْسَكَ سَاعَةً مُفَكَّرًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ).

- ١- بَارِقُ شَرْدَ الْكَرَى  
 لَاحَ مِنْ نَحْوِ مَا تَرَى  
 ٢- هَاجَ لِقَلْبِ شَجْوَهُ  
 فَأَعْتَرَى مِنْهُ مَا أَعْتَرَى  
 ٣- أَيُّهَا الشَّادِنُ الَّذِي  
 صَادَ قَلْبِي وَمَا دَرَى  
 ٤- كُنْ عَلِيمًا بِشِقْوَتِي  
 فِيكَ مِنْ بَيْنِ ذَا الْوَرَى

التعريف:

٣- الشَّادِنُ: ولد الظبي.

٤- الشَّقْوَةُ: الشقاء.

\* \* \*

- ٢٠ -

(رمل)

وقال:

التخریج:

الأغاني ١٨٥/٢٢، وفيه:

(أخبرني علي بن العباس قال: حدّثني أبي قال: كنتُ عند إبراهيم بن المدبر وزارته غريبٌ. فقال لها: رأيتُ الباردة في النوم أبا العبيس وقد غنى في هذا الشعر وأنتِ ترأسلينه فيه... فقالت: ما أملح والله الابتداء والإجازة! فاجعل ذلك في اليقظة، واكتب إلي أبي العبيس وسله عني وعنك الحضور، فكتب إليه إبراهيم... قال: فسار إليهما أبو العبيس، وحدّثه إبراهيم برؤياه، فحفظا الشعر، وغنيا فيه بقية يومهما).

- ١- يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا أَفْتَى الْوَرَى  
 زَارَنَا طَيْفُكَ فِي سُكْرِ الْكَرَى  
 ٢- وَتَغْنَى لِي صَوْتًا حَسَنًا  
 فِي سَنَا بَرْقِ عَلَيِ الْأَفْقِ سَرَى  
 ٣- وَعَرِيبٌ عِنْدَنَا حَاصِلَةٌ  
 زَيْنٌ مَنْ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الثَّرَى  
 ٤- نَحْنُ أَضْيَافُكَ فِي مَنْزِلِنَا  
 نَتَمَنَّأُكَ فَكُنْ أَنْتَ الْقِرَى

التعريف:

٣- في رواية: (حاضرة).

٤- الْقِرَى: ما يُقَدَّمُ إِلَى الضَّيْفِ.

\* \* \*

- ٢١ -

(مجزوء الكامل)

وقال:

١- يَوْمٌ أَنَا بِالسُّرُورِ  
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ

التخریج:

الأغاني ١٥٧/٢٢ - ١٥٨، وفيه:

(أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثنني إبراهيم بن المدبر قال: مرض المتوكل مرضة خيف عليه منها ثم عوفي، وأذن للناس في الوصول إليه، فدخلوا على طبقاتهم كافة ودخلت معهم، فلما رأني استداناني، حتى قمت وراء الفتح، ونظر إلي مستنطقاً فأنشدته... فقال =

- ٢- أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ  
وَوَفَيْتُ فِيهِ بِالنُّدُورِ
- ٣- لَمَّا اعْتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ  
شُعْبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصُّدُورِ
- ٤- مِنْ بَيْنِ مُلْتَهَبِ الْفُؤَا  
دِ، وَبَيْنِ مُكْتَتِبِ الضُّمِيرِ
- ٥- يَا عُدْتِي لِلدَّيْنِ وَالذُّنْيَةِ  
لِا وَلِلْخَطْبِ الْخَطِيرِ
- ٦- كَانَتْ جُفُونِي ثَرَّةً الـ  
أَمَاقِ بِالذَّمْعِ الْغَزِيرِ
- ٧- لَوْ لَمْ أُمَّتْ جَزَعاً لَعَمَّ  
رُكَّ إِنِّي عَيْنُ الصُّبُورِ

= المتوكل للفتح: إن إبراهيم لينطق عن نية خالصة، ووُدَّ محض، وما قضينا حقه، فتقدم بأن يحمل إليه الساعة خمسون ألف درهم، وتقدم إلى عبید الله بن يحيى بأن يوليّه عملاً سرياً ينتفع به).

التعريف:

- ٣- شُعْبُ الْقُلُوبِ: شُعْبُ الصُّدُورِ: مجاري النُّفْسِ فِي الرِّئَتَيْنِ.
- ٤- فِي رَوَايَةٍ (مِنْ بَيْنِ مُكْتَتِبِ الْفُؤَا د وَبَيْنِ مُلْتَهَبِ ..).
- ٥- الْخَطْبُ: الْأَمْرُ الشَّدِيدُ.
- ٦- الْأَمَاقِ: جَمْعُ: مَاقٍ: طَرَفُ الْعَيْنِ مِمَّا يَلِي الْأَنْفَ، وَهُوَ مَجْرَى الذَّمْعِ.
- ٧- لَعَمْرُكَ: الْعَمْرُ: مُدَّةُ الْحَيَاةِ، وَيُقَالُ فِي الْقِسْمِ: عَمْرُكَ اللَّهُ أَفْعَلُ كَذَا. وَيُقَالُ أَيْضاً: لَعَمْرُكَ.

- ٨- يَوْمِي هُنَالِكَ كَالسَّنِيِّ  
 نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ  
 ٩- يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكَّلُ الـ  
 عَالِي عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ  
 ١٠- الْيَوْمَ عَادَ الدِّينُ غَدَا  
 ضَّ الْعُودِ ذَا وَرَقٍ نَضِيرِ  
 ١١- وَالْيَوْمَ أَضْبَحَتِ الْخِيَلَا  
 فَةُ وَهِيَ أَرْسَى مِنْ ثَبِيرِ  
 ١٢- قَدْ خَالَفْتِكَ وَعَاقَدْتِ  
 كَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ  
 ١٣- يَا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِي  
 نَ، وَيَا ضِيَاءَ الْمُسْتَنِيرِ  
 ١٤- يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي  
 ظَهَرَتْ لَهُ بِهَدْيٍ وَنُورِ  
 ١٥- لِلَّهِ أَنْتَ فَمَا نُسَا  
 هِدْ مِنْكَ مِنْ كَرَمٍ وَخَيْرِ

١٠- في رواية: (عاد الملك).

١١- ثبير: اسم جبل.

١٢- مطاولة الدهور: مغالبتها ومباراتها.

١٤- الحججة: الدليل والبرهان.

١٥- الخير: الشرف والأصل.

- ١٦- حَتَّى نَقُولَ وَمَنْ يَبْقُرُ  
بِكَ مِنْ وَلِيِّ أَوْ نَصِيرِ  
١٧- الْبَدْرُ يَنْطِقُ بَيْنَنَا  
أَمْ جَعَفَرُ فَوْقَ السَّرِيرِ  
١٨- فَإِذَا تَوَاتَرَتِ الْعَظَا  
ثُمَّ كُنْتَ مُنْقَطِعَ النَّظِيرِ  
١٩- وَإِذَا تَعَذَّرَتِ الْعَظَا  
يَا كُنْتَ فَيَاضَ الْبُحُورِ  
٢٠- تَمْضِي الصَّوَابَ بِلا وَزِيدِ  
رِ أَوْ ظَهِيرِ أَوْ مُشِيرِ

١٩- في رواية: (تَعَوَّرَت).

٢٠- الظهير: المُعين.

\* \* \*

- ٢٢ -

وقال في الحبس قصيدة أولها: (طويل)

١- أَلَا طَرَقَتْ سَلْمَى لَدَى وَقْعَةِ السَّارِي  
فَرِيداً وَحِيداً مُوثِقاً نَازِحَ الدَّارِ

التخريج:

الأغاني ١٦٠/٢٢، والأبيات ما عدا الأخير في: الوافي بالوفيات

١٠٨/٦، وفوات الوفيات ٤٦/١، والأبيات: (٣- ٥، ٧- ٨) في تمام

المتون ٧٠- ٧١.

التعريف:

١- الوافي: (وحيداً فريداً)، الفوات: (وقفه الساري وحيداً فريداً). الطُرق: =

٢- هُوَ الْحَبْسُ مَا فِيهِ عَلَيَّ غَضَاضَةٌ  
وَهَلْ كَانَ فِي حَبْسِ الْخَلِيفَةِ مِنْ عَارٍ!

يقول فيها:

٣- أَلَسْتُ تَرَيْنَ الْخَمْرَ يَظْهَرُ حُسْنُهَا  
وَبَهَجَتْهَا بِالْحَبْسِ فِي الطَّيْنِ وَالْقَارِ!

٤- وَمَا أَنَا إِلَّا كَالْجَوَادِ يَصُونُهُ  
مُقَوْمُهُ لِلسَّبْقِ فِي طَيِّ مِضْمَارِ

٥- أَوِ الدُّرَّةِ الزَّهْرَاءِ فِي قَعْرِ لُجَّةٍ  
فَلَا تُجْتَلَى إِلَّا بِهَوْلِ وَأَخْطَارِ

٦- وَهَلْ هُوَ إِلَّا مَنْزِلٌ مِثْلُ مَنْزِلِي  
وَبَيْتٌ وَدَارٌ مِثْلُ بَيْتِي أَوْ دَارِي؟

٧- فَلَا تُنْكِرِي طُولَ الْمَدَى وَأَذَى الْعِدَى  
فَإِنَّ نِهَايَاتِ الْأُمُورِ لِإِقْصَارِ

٨- لَعَلَّ وَرَاءَ الْغَيْبِ أَمْرًا يَسُرُّنَا  
يُقَدِّرُهُ فِي عِلْمِهِ الْخَالِقُ الْبَارِي

---

= الضَّرْبُ عَلَى الْبَابِ لَيْلًا. وَقَعَةُ السَّارِي: نَوْمُهُ آخِرَ اللَّيْلِ. نَازِحٌ: بَعِيدٌ.

٢- الْغَضَاضَةُ: الدَّلَّةُ وَالْمَنْقِصَةُ وَالغَيْبُ.

٣- الْقَارُ وَالْقَيْرُ: مَا يُدْهَنُ بِهِ سِدَادُ الدَّنَانِ.

٤- الْمِضْمَارُ: الْمَكَانُ تُضْمَرُ فِيهِ الْخَيْلُ (أَي تَرْبَطُ وَتُعْلَفُ وَتُسْقَى كَثِيرًا مَدَّةً وَتُرَكَّضُ فِي

الْمِيدَانِ حَتَّى تَخْفُفَ وَتَدُقَّ).

٥- تُجْتَلَى: تُعْرَضُ مَجْلُوءَةً، مِصْقُولَةٌ.

٧- إِقْصَارٌ: انْتِهَاءٌ، وَتَرْكٌ، وَكُفٌّ.

٩- وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنَّ أَصُولَ بَجَعْفَرٍ  
فَأَهْضِمَ أَعْدَائِي وَأُذْرِكَ بِالثَّأْرِ

٩- هَضَمَ. فَلَتَانًا: ظَلَمَهُ وَغَضِبَهُ. وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَنَالَ مِنْ أَعْدَائِهِ كَمَا نَالُوا مِنْهُ.

\* \* \*

- ٢٣ -

وقال: (طويل)

١- طَرِبْتُ إِلَى قُطْرُبُلٍ وَبَلَشَكْرٍ  
وَرَأَجَعْتُ غَيًّا لَيْسَ عَنِّي بِمُقْصِرٍ

التخریج:

الأغاني ١٦٣، وفيه:

(أخبرني جعفر بن قدامة قال:

كان علي بن يحيى المنجم وإبراهيم بن المدبر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسر من رأى على حال أنس، وكانت تغنيهم جارية يقال لها نبت جارية البكرية المغنية من جوارى القيان، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبر بنظره ومزجه وتجميشه، وهي مقبله على فتى كان أمرد من أولاد الموالي يقال له مظفر، كانت تهواه، وكان أحسن الناس وجهاً، ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن افترقوا، فكتب إليه علي بن يحيى يقول: . . . . فكتب إليه إبراهيم بن المدبر والأول في معجم البلدان ٤٨٤/١.

التعريف:

١- قُطْرُبُلٌ: قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر. بَلَشَكْرٌ: من قرى بغداد. في رواية: (وراجعت عما لست عنه بمقصر).

- ٢- وَذَكَرَنِي شِعْرٌ أَتَانِي مُونِقٌ  
حَبَائِبَ قَلْبِي فِي أَوَائِلِ أَغْصِرِي
- ٣- فَنَهْنَهُتُ نَفْسِي عَنْ تَذَكُّرِ مَا مَضَى  
وَقُلْتُ: أَفِيقِي لَاتَ حِينَ تَذَكُّرِ
- ٤- أبا حَسَنِ مَا كُنْتَ تُعْرَفُ بِالخَنَا  
وَلَا بَعْلُو فِي الْمَكَانِ الْمُؤَخَّرِ
- ٥- وَمَا زِلْتَ مَحْمُودَ الشَّمَائِلِ مُرْتَضَى الخ  
لَاتِقٌ، مَعْرُوفاً بِعُرْفِ وَمُنْكَرِ
- ٦- أَتْرَمِي بِنَبْتِ مَنْ جَفَاهَا تَخِيْرًا  
وَبَاعَدَهَا عَنْهُ بِرَأْيِ مُوقِرٍ؟
- ٧- وَدَافَعَهَا عَنْ سِرِّهَا وَهِيَ تَشْتَكِي  
إِلَيْهِ تَبَارِيحَ الْهَوَى الْمُتَسَعِّرِ
- ٨- وَلَوْ كَانَ تَبَاعاً دَوَاعِي نَفْسِهِ  
إِذَا لَقَضَى أَوْطَارَهُ ابْنُ الْمُدْبِرِ
- ٩- عَلَى أَنَّهُ لَوْ حَصَّحَصَّ الْحَقُّ بِاعِهَا  
- وَلَوْ كَانَ مَشْغُوفًا بِهَا - بِمُظْفَرِ

٢- مُونِقٌ: مُعْجِبٌ.

٣- نَهْنَهُتُ: كَفَفْتُ وَرَجَرْتُ.

٤- أَبُو حَسَنِ: كِنْيَةُ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمَنْجَمِ. الْخَنَا: الْفُحْشُ فِي الْكَلَامِ.

٥- الْخَلَاتِقُ: جَمْعُ خَلِيقَةٍ: الطَّبِيعَةُ الَّتِي يُخْلَقُ الْمَرْءُ بِهَا.

٧- تَبَارِيحُ الْهَوَى: تَوَهُّجُهُ.

فِي رِوَايَةٍ: (دَافَعَهَا عَنْ وَضْلِهِ).

٨- أَوْطَارُهُ: حَاجَاتُهُ.

٩- حَصَّحَصَّ الْحَقُّ: ظَهَرَ بَعْدَ خَفَاءٍ.

- ١٠- بِلَوْلُؤَةٍ زَهْرَاءِ يُشْرِقُ ضَوْءُهَا  
 وَغُرَّةٍ وَجْهٍ كَالصَّبَاحِ الْمَشْهُرِ  
 ١١- إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنْ هَذَا وَهَذِهِ  
 غَزَالًا كَثِيبٌ ذِي أَقْحاحٍ مُنُورٍ  
 ١٢- وَأَنْتَ فَقَدْ طَالَبْتَهَا فَوَجَدْتَهَا  
 لَهَا خُلُقٌ لَا يَرْعَوِي ذُو تَوْعُرٍ  
 ١٣- وَحَاوَلْتَ فِيهَا سَلْوَةً عَن مُظْفَرٍ  
 فَمَا لَانَ مِنْهَا الْعِطْفُ عِنْدَ التَّخْيِيرِ  
 ١٤- نَصَحْتِكَ عَن وُدِّ وَلَمْ أَكْ جَاهِدًا  
 فَإِنْ شِئْتَ فَأَقْبِلْ قَوْلَ ذِي النُّصْحِ أَوْ ذَرِّ

١١- الكَثِيبُ: الرَّمْلُ الْمَسْتَطِيلُ الْمُخْدَوْدُبُ.

١٢- لَا يَرْعَوِي: لَا يَرْتَدِعُ: وَلَا يَنْزَجِرُ.

١٣- الْعِطْفُ: الْجَانِبُ.

١٤- ذَرِّ: اْتَرُكْ.

\* \* \*

- ٢٤ -

(بسيط)

وقال:

التخريج:

الأغاني ١٧٠/٢٢ - ١٧٢، وفيه:

(حدّثني محمّد بن يحيى الصّولي، قال:

كان إبراهيم بن المدبر يحبّ جاريةً للمغنية المعروفة بالبكرية =

- ١ - أَلَمْ يَشُقِّكَ الَّتِمَاعُ الْبَرْقِ فِي السَّحْرِ؟  
 بَلَى وَهَيَّجَ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ ذِكْرِ  
 ٢ - مَا زَالَ دَمْعِي غَزِيرَ الْقَطْرِ مُنْسَجِمًا  
 سَحًا بِأَرْبَعَةٍ تَجْرِي مِنَ الدُّرْرِ  
 ٣ - وَقُلْتُ لِلْغَيْثِ لَمَّا جَادَ وَابِلُهُ  
 وَمَا شَجَانِي مِنَ الْأَحْزَانِ وَالسَّهْرِ  
 ٤ - يَا عَارِضًا قَاطِرًا أَمْطِرْ عَلَيَّ كَيْدِي  
 فَإِنَّهَا كَيْدٌ حَرَّى مِنَ الْفِكْرِ  
 ٥ - لَشِدِّ مَا نَالَ مِنِّي الدَّهْرُ وَاعْتَلَقَتْ  
 يَدُ الزَّمَانِ وَأَوْهَتْ مِنْ قُوَى مِرْرِي  
 ٦ - يَا وَاحِدِي مِنَ عِبَادِ اللَّهِ كُلَّهُمْ  
 وَيَا غِنَايَ وَيَا كَهْفِي وَيَا وَزْرِي

= بُسْرٌ مَنْ رَأَى فَقَالَ فِيهَا... وَأَنْشَدَهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَمْدُونَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ،  
 وَغَنَّتْ بِهَا، وَجَعَلَ يَكْرُرُ قَوْلَهُ:

الْخَمْرُ مِنْ فَيْكِ لِمَنْ ذَاقَهُ  
 وَيَقُولُ: هَذَا وَاللَّهِ قَوْلُ خَبِيرٍ مُجَرَّبٍ، فَاسْتَحَيْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَسَبَّتُ  
 إِبْرَاهِيمَ، فَبَلَّغَهُ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ).

التعريف:

- ٢ - فِي رِوَايَةٍ: (بِأَرْبَعَةٍ تَهْمِي).  
 مُنْسَجِمًا: مُنْصَبًا. سَحًا: مُنْصَبًا مُتَّابِعًا كَثِيرًا.  
 ٣ - الْوَابِلُ: الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ الْقَطْرِ.  
 ٤ - الْعَارِضُ: السَّحَابُ الْمُطَّلُ. كَيْدٌ حَرَّى: يَابَسَةٌ مِنْ عَطَشٍ أَوْ حُزْنٍ.  
 ٥ - اِعْتَلَقَتْ: نَشِبَتْ. مِرْرِي: قَوَايِ، جَمْعُ مِرَّةٍ.  
 ٦ - الْكَهْفُ، وَالْوَزْرُ: الْمَلْجَأُ وَالْمُعْتَصِمُ. فِي رِوَايَةٍ: (وَيَا غِيَاثِي).

- ٧- أَحِينْ أَنْشَدْتَ شِعْرِي فِي مَعَذَّتِي  
أَمَا رَأَيْتَ لَهَا مِنْ شِدَّةِ الْحَصْرِ؟
- ٨- وَمَا شَفَعَتْ بِهَا شِعْرِي وَقُلْتُ بِهِ  
فِي رِيْقِهَا الْبَارِدِ السَّلْسَالِ ذِي الْخَصْرِ
- ٩- لِبَيْسٍ مُسْتَنْصِحاً فِي مِثْلِ ذَلِكَ يَا  
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ مُسْتَنْصِحِ غَدْرِ
- ١٠- وَالْيَوْمَ يَوْمَ كَرِيمٍ لَيْسَ يُكْرَمُهُ  
إِلَّا كَرِيمٌ مِنَ الْفِتْيَانِ ذُو خَطْرِ
- ١١- نَشَدْتُكَ اللَّهُ فَأَصْحَبُهُ بِصُحْبَتِهِ  
مُبَاكِرًا، فَأَلَذُّ الشُّرْبِ فِي الْبُكْرِ
- ١٢- وَأَجْمَعُ نَدَامَاكَ فِيهِ وَأَقْتَرِحُ رَمَلًا  
صَوْتًا تُغْنِيهِ ذَاتُ الدَّلِّ وَالْخَفْرِ
- ١٣- يَرْتَاخُ لِلدَّجْنِ قَلْبِي وَهُوَ مُقْتَسَمٌ  
بَيْنَ الْهُمُومِ ارْتِيَاخِ الْأَرْضِ لِلْمَطْرِ
- ١٤- يَا غَادِرًا يَا أَحَبَّ النَّاسِ كُلَّهُمْ  
إِلَيَّ وَاللَّهِ مِنْ أَنْثَى وَمِنْ ذَكَرٍ

٧- الْحَصْرُ: ضَيْقُ الصُّدْرِ.

٨- الْحَصْرُ: الْبُرْدُ.

٩- الْخَطْرُ: الْمَثِيلُ فِي الشَّرَفِ وَالرَّفْعَةِ.

١١- فِي رَوَايَةٍ: (فَأَصْبَحَهُ). نَشَدَ فُلَانٌ فُلَانًا: قَصَدَهُ وَسَأَلَهُ.

١٢- ذَاتُ دَلٍّ: ذَاتُ شَكْلِ يُدَلُّ بِهِ. الْخَفْرُ: الْحَيَاءُ.

١٣- فِي رَوَايَةٍ: (يَرْتَاخُ لِلذَّكْرِ). الدَّجْنُ: الْبَاسُ الْغَيْمِ الْأَرْضِ وَأَقْطَارَ السَّمَاءِ.

- ١٥- وَيَا رَجَائِي وَيَا سُؤْلِي وَيَا أَمْلِي  
 وَيَا حَيَاتِي وَيَا سَمْعِي وَيَا بَصْرِي  
 ١٦- وَيَا مُنَايَ وَيَا نُورِي وَيَا فَرْحِي  
 وَيَا سُورِي وَيَا شَمْسِي وَيَا قَمْرِي  
 ١٧- لَا تَقْبَلِي قَوْلَ حُسَادِي عَلَيَّ وَلَا  
 وَاللَّهِ مَا صَدَقُوا فِي الْقَوْلِ وَالْخَبَرِ  
 ١٨- أَدَأَلْنِي اللَّهُ مِنْ دَهْرٍ يُضَعِّعُنِي  
 فَقَدْ حُجِبْتُ عَنِ التَّسْلِيمِ وَالنَّظَرِ  
 ١٩- إِنْ يَحْجُبُوا عَنْكَ فِي تَقْدِيرِهِمْ بَصْرِي  
 فَكَيْفَ لَمْ يَحْجُبُوا ذِكْرِي وَلَا فِكْرِي؟  
 ٢٠- يَا قَوْمُ قَلْبِي ضَعِيفٌ مِنْ تَذْكَرِهَا  
 وَقَلْبُهَا فَارِغٌ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ  
 ٢١- اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي هَائِمٌ دَنَفْتُ  
 بِغَادَةِ لَيْتِهَا حَظِّي مِنَ الْبَشَرِ

١٧- في رواية: (فلا).

١٨- أَدَأَلْنِي اللَّهُ: نَصْرَنِي.

٢١- دَنَفْتُ: مَرِيضٌ مُشْفٍ عَلَى الْمَوْتِ.

الغادة: الناعمة اللينة من الفتيات.

\* \* \*

- ٢٥ -

(سريع)

وقال:

التخريج:

الأغاني ١٨٠/٢٢، وفيه: (وأنشدني (أي الصولي) أيضاً له).

والآيات في نهاية الأرب ٦٠٦/٥.

- ١- إِنَّ عَرِيباً خُلِقَتْ وَحَدَهَا  
 فِي كُلِّ مَا يَحْسُنُ مِنْ أَمْرِهَا
- ٢- وَنِعْمَةً لِّلَّهِ فِي خَلْقِهِ  
 يُقَصِّرُ الْعَالَمُ عَنْ شُكْرِهَا
- ٣- أَشْهَدُ فِي جَارِيَتَيْهَا عَلَيَّ  
 أَنَّهُمَا مُحْسِنَتَا ذَهْرِيهَا
- ٤- فَبِدْعَةٍ تُبْدِعُ فِي شَذْوِهَا  
 وَتُخَفِّفُ تَخَفًا فِي زَمْرِيهَا
- ٥- يَا رَبِّ أَمْتِعْهَا بِمَا خُوِّلَتْ  
 وَأَمِدُّ لَنَا يَا رَبِّ فِي عُمْرِهَا

التعريف:

٣- نهاية الأرب: (أشهدني جاريئتها).

٤- نهاية الأرب: (في شجوها).

٥- نهاية الأرب: (وامدد لها)، خُوِّلَتْ: أُعْطِيَتْ.

\* \* \*

- ٢٦ -

(منسرح)

وقال:

التخريج:

مروج الذهب ٥/٣، وفيه: (وبايع المتوكل لبنيه الثلاثة: محمد المنتصر بالله. وأبي عبد الله المعتز بالله، والمستعين بالله (كذا، وهو خطأ والصحيح المؤيد) وفي ذلك يقول ابن المدبر في ذكره لهذه البيعة).  
 عاصم بن - البيعة في سنة ٢٣٥ هـ، نظ. الطبري حوادث هذه السنة.

- ١- يَا بَيْعَةً مِثْلَ بَيْعَةِ الشَّجَرَةِ  
فِيهَا لِكُلِّ الْخَلَائِقِ الْخَيْرَ  
٢- أَكَّذَهَا جَعْفَرٌ وَصَيَّرَهَا  
إِلَى بَنِيهِ الثَّلَاثَةِ الْبَرَّةِ.

التعريف:

- ١- بَيْعَةُ الشَّجَرَةِ: يشير إلى الشجرة التي بُيِعَ تحتها الرسول ﷺ.  
الْخَلَائِقُ: جمع خَلِيقَةٍ، ويُرادُ بها كلُّ مخلوقٍ.  
الْخَيْرَةُ: ما يُخْتَارُ.

\* \* \*

- س -

- ٢٧ -

(منسرح)

وقال:

- ١- قُلْ لِأَبِي الشَّرِّ إِنَّ مَرَرْتُ بِهِ  
مَقَالَةً عُرِّيتَ مِنَ اللَّبْسِ

التخریج:

الأغاني ١٧٥/٢٢ - ١٧٦، وفيه:

(حدَّثني عمي قال: حدَّثني محمدُ بنُ داودَ قال:

كَانَ عَيْسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّصْرَانِيُّ الْمَكْنَى أبا الْخَيْرِ كَاتِبُ سَعِيدِ بْنِ  
صَالِحٍ يَسْعَى عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِيِّ فِي أَيَّامِ نَكْبَتِهِ، فَلَمَّا زَالَتْ، وَمَاتَ  
سَعِيدٌ نَكَبَ عَيْسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَحُبِسَ، وَنُهَبَتْ دَارُهُ فَقَالَ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ  
الْمَدْبَرِيِّ).

التعريف:

- ١- فِي رِوَايَةٍ: (مِنَ الدُّنْسِ). اللَّبْسُ: الشُّبْهَةُ وَعَدَمُ الْوُضُوحِ.

- ٢- أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنْ قَوَارِعِهِ  
 آخِذَةً بِالْخِنَاقِ وَالنَّفْسِ  
 ٣- لَا زِلْتَ يَا بَنَ الْب... رَاءِ مُرْتَهَنًا  
 فِي شَرِّ حَالٍ وَضِيقٍ مُحْتَبَسٍ  
 ٤- أَقُولُ لَمَّا رَأَيْتُ مَنْزِلَهُ  
 مُتَّهَبًا خَالِيًا مِنَ الْأَنْسِ :  
 ٥- يَا مَنْزِلًا قَدْ عَفَا مِنَ الطُّفْسِ  
 وَسَاحَةً أُخْلِيَتْ مِنَ الدَّنْسِ  
 ٦- مَنْ لِاقْتِرَافِ الْفَحْشَاءِ بَعْدَ أَبِي الشَّ  
 رِّ وَمَنْ لِلْقَبِيحِ وَالنَّجِسِ ؟

٢- قوارعه: مصائبه. الخِنَاقِ: الخَلْق.

٣- مُرْتَهَنًا: محبوساً.

٤- الْأَنْسُ: الْمُؤَانِسُونَ، جَمْعُ أَنْيسٍ.

٥- عَفَا: دَرَسَ وَأَمَحَى. الطُّفْسُ: الدَّنْسُ.

\* \* \*

- ض -

- ٢٨ -

(بسيط)

وقال:

التخریج:

نشوار المحاضرة ٢٧١/١، وفيه عن إبراهيم بن المدبر قال:  
 (كنتُ أتعشُّقُ عَرِيبَ، دهرًا طويلًا، وأنفقتُ عليها مالًا جليلًا، فلَمَّا  
 قصدني الزمانُ، وتركتُ التصرفَ، ولزمتُ البيتَ، كانتُ هي أيضًا، قد =

١- إِنْ كَانَ لَيْلِكَ نَوْمًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ

فَإِنَّ جَفْنِي لَا يُثْنِي لِتَغْمِيضِ

= أَسْنَتُ، وَتَابَتْ مِنَ الْغَنَاءِ، وَزَمِنْتُ. فَكُنْتُ جَالِسًا يَوْمًا، إِذْ جَاءَنِي بَوَابِي، وَقَالَ: طَيَّارٌ عَرِيبٌ بِالْبَابِ، وَهِيَ فِيهِ تَسْتَأْذِنُ. فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَارْتَأَخَ قَلْبِي إِلَيْهَا، فَقَمْتُ حَتَّى نَزَلْتُ إِلَى الشَّطِّ، فَإِذَا هِيَ جَالِسَةٌ فِي طَيَّارِهَا. فَقُلْتُ: يَا سِتِي، كَيْفَ كَانَ هَذَا.

قَالَتْ: اشْتَقْتُ إِلَيْكَ، وَطَالَ الْعَهْدُ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُجَدِّدَهُ، وَأَشْرَبَ عِنْدَكَ الْيَوْمَ، قُلْتُ: فَاصْعِدِي، قَالَتْ: حَتَّى تَجِيءَ مُحَفَّتِي. قَالَ: فَإِذَا بِطَيَّارٍ لَطِيفٍ، قَدْ جَاءَ وَفِيهِ الْمُحَفَّةُ، فَأَجْلَسْتُ فِيهَا، وَأَصْعَدْتُ بِهَا الْخَدْمَ. وَتَحَدَّثْنَا سَاعَةً، ثُمَّ قُدِّمَ الطَّعَامُ، فَأَكَلْنَا، وَأَحْضِرَ النَّبِيذَ، فَشَرِبْتُ، وَسَقَيْتُهَا فَشَرِبَتْ، وَأَمَرْتُ جَوَارِيهَا بِالْغَنَاءِ، وَكَانَ مَعَهَا مِنْهُنَّ عِدَّةٌ، مُحْسِنَاتٌ، طَيِّبَاتٌ، حُذَّاقٌ، فَتَغَنَيْنَ أَحْسَنَ غِنَاءٍ وَأَطْيَبِهِ، فَطَرِبْتُ وَسُرِرْتُ. وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ، عَمَلْتُ شِعْرًا، وَأَنَا مُوَلَّعٌ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ بِتَرْدِيدِهِ، وَإِنْشَادِهِ، وَهُوَ...

فَقُلْتُ لَهَا: يَا سِتِي، إِنِّي عَمَلْتُ أَيْبَاتًا، أَشْتَهِي أَنْ تَصْنَعِي فِيهَا لِحْنًا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ مَعَ التَّوْبَةِ؟ قُلْتُ لَهَا: فَاحْتَالِي فِي ذَلِكَ كَيْفَ شِئْتَ. فَقَالَتْ: رَوْهَاتِي الصَّبِيَّتَيْنِ الشَّعْرَ، وَأَوْمَأْتُ إِلَى بَدْعَةٍ وَتُحَفَةٍ جَارِيَّتَيْهَا. فَحَفَظْتُهُمَا الشَّعْرَ، وَفَكَّرْتُ سَاعَةً، وَوَقَعْتُ بِالْمَرْوِحَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَزَمَزَمْتُ مَعَ نَفْسِهَا، ثُمَّ قَالَتْ لَهَا: أَصْلِحَا الْوَتْرَ الْفَلَانِيَّ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْفَلَانِيَّةِ وَأَضْرِبَا بِالْإِصْبَعِ الْفَلَانِيَّةِ، وَافْعَلَا كَذَا وَكَذَا، إِلَى أَنْ فَتَحَ لَهَا الضَّرْبَ، ثُمَّ قَالَتْ: غَنِيَاهُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْفَلَانِيَّةِ، وَاجْعَلَا فِي الْمَوْضِعِ الْفَلَانِيَّ كَذَا. فَغَنَّتَاهُ، كَأَنَّهَا قَدْ سَمِعَتْهُ قَبْلَ ذَلِكَ دَفْعَاتٍ، وَمَا خَرَجَ الْغِنَاءُ مِنْ بَيْنِ شَفْتَيْهَا.

فَطَرِبْتُ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: عَرِيبٌ تَزُورُنِي وَتَلْحُنُ شَعْرِي، وَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ مُغْنِيَةٌ، وَتَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِي صَفْرًا؟ وَاللَّهِ، لَا كَانَ هَذَا، وَلَوْ أَنَّنِي مِتُّ ضَرًّا وَجُوعًا وَفَقْرًا. فَقَمْتُ إِلَى جَوَارِيَّ، وَشَرَحْتُ الْحَالَ لَهُنَّ، وَقُلْتُ: =

- ٢- كَانَ جَنِّي فِي الظُّلْمَاءِ تَقْرُضُهُ  
عَلَى الْحَشِيَّةِ أَطْرَافَ الْمَقَارِيضِ
- ٣- اسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ لَا أُسْتَطِيعُ لَهُ  
شَكْوَى الْمَحَبَّةِ إِلَّا بِالْمَعَارِيضِ

= عاوتني بما يحضركن فدفعت إلي هذه خلخالاً، وهذه سواراً، وهذه عقد حبّ وهذه مرجان، إلى أن اجتمع لي من حليهن ما قيمته ألف دينار. قال: واستدعيت زنبيلاً مُشْبِكاً ذهباً كان عندي. فيه مائة مثقال، فجعلت ذلك فيه، وخرجت به إليها، وقلت: يا سيدي، هذه طُرفٌ، أحببت إتحاف هاتين الصبيتين بها، فأحب أن تأمريهما بأخذها، فامتنعت امتناعاً ضعيفاً، وقالت: يا أبا إسحاق، بيننا اليوم هذا، أو فضل فضل له؟ فقلت: لا بُدَّ، فقالت لهما: خذاه، فأخذتاه، وجلست إلى وقت المغرب. ثم قامت لتنصرف فشيعتها إلى دجلة. فلما أرادت الجلوس في طيارها. قالت: يا أبا إسحاق لي حاجة. قلت: مري بأمرك. قالت: قد ابتاعت فلانة، أم ولدك، ضيعةً يقال لها كذا، وهي تجاورني، وأنا شفيعتها، وأريد أن تأمرها بأخذ المال مني والنزول عنها لي. فعلمت أنها إنما جاءت لهذا السبب. فقلت: مكانك، فتوقفت في الطيار. فدخلت إلى أم ولدي وضمنت لها المال، وأخذت العهدة بالضبيعة، فجئت بها إليها. وقلت: قد وهبتها لك، وضمنت المال لها، وفي غد أتقدم بالإشهاد لك في ظهر الكتاب، فخذيه معك عاجلاً. فشكرتني ومضت وكان شراء الضيعة ألف دينار. فقام عليّ يومها، وتلحيتها هذا الشعر بألفي دينار ومائة دينار).

التعريف:

- ٢- المقاريض: جمع مقراض: المقصص. الحشية: الفراش المحشو.  
٣- المعاريض: جمع معراض. التورية والفحوى، وأصله الستر.

\* \* \*

- ط -

- ٢٩ -

(منسرح)

وقال:

١- يَا كَاشِفَ الْكَرْبِ بَعْدَ شِدَّتِهِ  
وَمُنْزِلَ الْغَيْثِ بَعْدَمَا قَنَبُوا  
٢- لَا تَبْلُ قَلْبِي بِشَحْطِ بَيْنِهِمْ  
فَالْمَوْتُ دَانٍ إِذَا هُمْ شَحَطُوا

التخریج:

معجم الأدباء ١/٢٢٨-٢٢٩، والوافي بالوفيات ٦/١٠٩، وفوات

الوفيات ١/٤٧.

التعريف:

١- قَنَبُوا: يَسُوا أَشَدَّ الْيَأْسِ .

٢- لَا تَبْلُ: لَا تَمَحِّنُ. الشَّحَطُ: البَعْدُ.

\* \* \*

- ع -

- ٣٠ -

(كامل)

وقال:

١- أَخِيَّ إِنَّ أَخَاكَ مُذْ فَارَقْتَهُ  
شَوْقاً إِلَيْكَ فُوَادُهُ يَتَقَطَّعُ

التخریج:

الوافي بالوفيات ٦/١١٠.

- ٢- يَشْكُو جَفَاءَكَ مُعَلِّناً بِلِسَانِهِ  
وَفُؤَادَهُ مِنْ خَوْفِ غَدْرِكَ يُوجَعُ  
٣- وَيَقُولُ مُعْتَذِراً إِلَى مَنْ لَامَهُ:  
إِنَّ الشَّقِيقَ بِسُوءِ ظَنِّ مُوَلِّعٍ  
٤- اسْلَمَ وَكُنْ لِي كَيْفَ شِئْتَ عَلَى النَّوَى  
مَهْمَا فَعَلْتَ فَلَسْتُ مِمَّنْ يَقْطَعُ

التعريف:

٤- النوى: البعد.

\* \* \*

- ف -

- ٣١ -

(سريع)

وقال:

- ١- مَا دُمِيَّةٌ مِنْ مَرْمَرٍ صُوِّرَتْ  
أَوْ ظَبْيِيَّةٌ فِي خَمْرِ عَاطِفُ

التخريج:

أمالى القالي ٢٩/١، وفيه: (أنشدنا الأخفش علي بن سليمان، قال: أنشدني إبراهيم بن المدبر لنفسه)، والأبيات في شرح مقصورة ابن دريد (٦٠)، وفيه: (وأنشدنا أبو علي الروذري)، فوات الوفيات ١٠٩/٦، والأول في سمط اللالي ١٣٤/١.

التعريف:

١- الفوات: (في مرمز).

٢- أَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ لَنَا  
وَأَلَدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتِهَا ذَارِفُ  
٣- لَأَنْتَ أَهْلَى مِنْ لَذِيذِ الْكَرَى  
وَمِنْ أَمَانٍ نَالَهُ خَائِفُ

= الذَّمِيَّةُ: الصورةُ المُمَثَّلَةُ من العَاجِ وغيره، يُضْرَبُ بها المَثَلُ في الحَسَنِ.  
الْخَمْرُ: ما وَاوَى الشَّيْءَ من شَجَرٍ أو بِنَاءٍ أو جَبَلٍ أو نَحْوِهِ.  
عَاطَفَ: عَطَفَتِ الطَّيْبَةُ: أَمَالَتْ عُنُقَهَا وَحَنَّتْهُ.

\* \* \*

- ٣٢ -

وقال: (مُجْتَث)

١- يَا قَلْبَ أَنْتَ وَطَرْفِي  
شُغْلِي وَدَائِي وَحَتْفِي  
٢- مُوتَا فَلَإِ كَانَ إِفْ  
يُعِينُ فِي قَتْلِ إِفْ  
٣- هَذَا فَعَالِي بِنَفْسِي  
أَخَذْتُ حَتْفِي بِكَفِّي  
٤- أَنَا الضَّعِيفُ عَلَى الْهَجْرِ  
رِ، فَأَرْحَمُوا ذُلَّ ضَعْفِي

التخریج:

الوافي بالوفيات ١١٠/٦.

٥- مِنْ ضَعْفِ رُكْنِي أَنِّي  
لَيْتُ فَرِيْسَةً خَشْفِ

التعريف:

٥- الخِشْفُ: وَلَدُ الطَّيْبَةِ أَوَّلُ مَا يُوَلَّدُ.

\* \* \*

- ق -

- ٣٣ -

(خفيف)

وقال:

١- وَصَدِيقِ تَرَاهُ حُلُوءًا أُنَيْقًا  
مُؤْنَسًا مُلْطَفًا حَفِيًّا شَفِيْقًا  
٢- ثُمَّ لَمَّا رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْغَدِّ  
ظَلَّةً مِنْهُ، صَارَ الْبَعِيدَ السَّحِيْقًا

التخريج:

إعتاب الكتاب: ١٦٢، وفيه:

(وكان إبراهيم يقول: نُكَبْنَا نَكْبَةً مِنْ نَكْبَاتِنَا، فسقط من إخواننا من  
كنا نجعل من أهل الوَدِّ، فكتبتُ إلى بعضهم).

التعريف:

١- أُنَيْقًا: حَسَنًا مُعْجَبًا. حَفِيًّا: لَطِيفًا رَقِيْقًا.

٢- الْغِلَظَةُ: الْفِطَاظَةُ وَالْقِسْوَةُ.

\* \* \*

- ك -

- ٣٤ -

(سريع)

وقال:

- ١- غَادَرْتِ قَلْبِي فِي إِسَارِ لَدَيْكَ  
فَوَيْلَتَا مِنْكَ، وَوَيْلِي عَلَيْكَ
- ٢- قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ  
أَنِّي أَعَانِي الْمَوْتَ شَوْقًا إِلَيْكَ
- ٣- مُنِّي بِفِكَ الْأَسْرِ أَوْ فَاقْتُلِي  
أَيُّهُمَا أَحَبِّتِ مِنْ حُسْنَيْيِكَ
- ٤- قَدْ كُنْتُ لَا أُعِدِّي عَلَى ظَالِمٍ  
فَصِرْتُ لَا أُعِدِّي عَلَى مُقْتَلَيْكَ
- ٥- الْخَمْرُ مِنْ فَيْكَ لِمَنْ ذَاقَهُ  
وَالْوَرْدُ لِلنَّاظِرِ مِنْ وَجْتَيْكَ
- ٦- يَا حَسْرَتَا إِنْ مِتُّ طَوَّعَ الْهَوَى  
وَلَمْ أَنْلُ مَا أُرْتَجِيهِ لَدَيْكَ

التخريج:

الأغاني ١٦٩/٢٢ - ١٧٠، (يحسن النظر في تخريج الرقم «٢٤»).

التعريف:

- ١- في رواية: (فالويلُ لي منك)، وفي أخرى: (غودِرَ قلبي).
- ٢- في رواية: (فليعلم الله تعالى اسمه).
- ٣- مُنِّي: أنعمي.
- ٤- لا أعدي: لا أعين.

\* \* \*

وقال:

(خفيف)

- ١- كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا جُعِلْتُ فِدَاكَ
- إِنِّي أَشْتَكِي إِلَيْكَ جَفَاكَ
- ٢- قَدْ تَمَادَى بِكَ الْجَفَاءُ وَمَا كُنْتُ
- تَ حَقِيقًا وَلَا حَرِيًّا بِذَاكَ
- ٣- كُنْ شَبِيهًا بِمَنْ مَضَى جَعَلَ اللَّهُ
- عُ لَكَ الْعُمَرَ دَائِمًا وَرَعَاكَ
- ٤- إِنَّ شَهْرَ الصَّيَامِ شَهْرُ فِكَاكَ
- أَنْتَ فِيهِ وَنَحْنُ نَرْجُو الْفِكَاكَ
- ٥- فَارْزُدِ الْخَاتَمِينَ رَدًّا جَمِيلًا
- قَدْ تَنَعَّمْتَ فِيهِمَا مَا كَفَاكَ

التخریج:

الأغاني ١٦٤/٢٢ - ١٦٥، وفيه:

(أخبرني جعفر بن قدامة قال:

كان في إصبع إبراهيم بن المدبر خاتمان وهبتهما له عريب، وكانا مشهورين لها، فاجتمع مع أبي العبيس بن حمدون في اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب، فلما سكرنا اتفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبي العبيس، ويقيم عنده من غد إن لم ير الهلال، وأخذ الخاتمين منه رهناً. ورئي الهلال في تلك الليلة، وأصبح الناس صياماً، فكتب إبراهيم إلى أبي العبيس يطالبه بالخاتمين، فدافعه، وعبث به، فكتب إليه من غد.

التعريف:

٥- تَنَعَّمْتَ: تمتعت. في رواية (تولعت).

- ٦- يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ دَعْوَةَ دَاعٍ  
يَرْتَجِي نُجْحَ أَمْرِهِ إِذْ دَعَاكَ  
٧- خَاتَمَايَ اللَّذَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَبِّ  
سَاسَ قَدْ شَارَفَا لَدَيْهِ الْهَلَاكَ  
٨- وَهُوَ حُرٌّ وَقَدْ حَكَكَ كَمَا أَنْ  
كَ فِي الْمَكْرُمَاتِ تَحْكِي أَبَاكَ

٦- يا أبا عبد الله: يعني أبا عبد الله بن حمدون والد أبي العيس المخاطب بهذا الشعر.

\* \* \*

- ٣٦ -

وقال: (كامل)

- ١- قَالُوا أَضْرَّ بِنَا السَّحَابُ بِوَكْفِهِ  
لَمَّا رَأَوْهُ لِمُقَلَّتِي يَحْكِي  
٢- لَا تَعْجَبُوا مِمَّا تَرَوْنَ فَإِنَّمَا  
هَذِي السَّمَاءُ لِرَحْمَتِي تَبْكِي

التخريج:

الوافي بالوفيات ١٠٩/٦، وفوات الوفيات ٤٧/١.

التعريف:

١- الوكف: سَيْلَانُ الْمَطَرِ وَقَطْرُهُ قَلِيلاً قَلِيلاً.

\* \* \*

- ل -

- ٣٧ -

(طويل)

وقال:

- ١- وَسَاءَ لَتْمُوهُ بَعْدَكُمْ كَيْفَ حَالُهُ  
وَذَلِكَ أَمْرٌ بَيْنَ لَيْسَ يُشْكِلُ
- ٢- فَلَا تَسْأَلُوا عَنْ قَلْبِهِ فَهُوَ عِنْدَكُمْ  
وَلَكِنْ عَنِ الْجِسْمِ الْمُخْلَفِ فَاسْأَلُوا

التخريج:

الأغاني ١٨١/٢٢، وفيه: (أخبرني علي بن العباس بن طلحة الكاتب قال: قرأت جواباً بخط إبراهيم بن المدبر في أضعاف رقة كتبتها إليه عريب، فوجدته قد كتب تحت فصل من الكتاب، تسأله فيه عن خبره).

\* \* \*

- م -

- ٣٨ -

(متقارب)

وقال:

- ١- أَحْبَبْنَا بِأَبِي أَنْتُمْ  
وَسَقِيَا لَكُمْ حَيْثُمَا كُنْتُمْ
- ٢- أَطَلْتُمْ عِنْدَ أَبِي بِمِيعَادِكُمْ  
وَقُلْتُمْ نَزُورُ فَمَا زُرْتُمْ

التخريج:

الأغاني ١٥٦/٢٢.

٣- فَأَمْسِكْ قَلْبِي عَلَى لَوْعَتِي  
 وَنَمَتْ دُمُوعِي بِمَا أَكْتُمُ  
 ٤- فَفِيمَ أَسَاتِمٍ وَأَخْلَفْتُمُ  
 وَقَدِّمًا وَفَيْتُمُ وَأَحْسَنْتُمُ

\* \* \*

- ٣٩ -

وقال: (مجزوء الكامل)

١- عَزَّ الطَّوِيلَ عَنِ الْأَزْمَةِ  
 لَا رَدَّهُ رَبِّي بِذِمِّهِ  
 ٢- إِنْ كَانَ طَالَ فَإِنَّهُ  
 مِنْ أَقْصَرِ الثَّقَلَيْنِ هِمِّهِ  
 ٣- هَبْ كُنْتَ صَوْلًا نَفْسَهُ  
 مَنْ كَانَ صَوْلٌ... كَأُمَّهِ

التخریج:

معجم الأدباء ٢٢٨/١، وفيه: (وقال يهجو إبراهيم بن العباس  
 لصولي).

التعريف:

١ - الأزمّة: جمعُ زمام وهو العنان. الذمّة: العهد.  
 ٢ - الثقلان: الإنس والجن.

\* \* \*

وقال: (خفيف)

- ١- أَيُّهَا الزَّائِرَانِ حَيَّاكُمَا الدُّهُ  
هُ وَمَنْ أَنْتُمَا لَهُ بِالسَّلَامِ
- ٢- مَا رَأَيْنَا فِي الدَّهْرِ بَدْرًا وَشَمْسًا  
طَرَقَا ثُمَّ رَجَعَا بِالْكَلامِ
- ٣- كَيْفَ خَلَقْتُمَا عَرِيًّا سَقَاهَا الدُّهُ  
هُ رَبُّ الْعِبَادِ صَوَّبَ الْغَمَامِ
- ٤- هِيَ كَالشَّمْسِ وَالْحِسَانِ نُجُومٌ  
لَيْسَ ضَوْؤُهُ النَّهَارِ مِثْلَ الظَّلَامِ
- ٥- جَمَعَتْ كُلَّ مَا تَفَرَّقَ فِي النَّاسِ  
سِ، وَصَارَتْ فَرِيدَةً فِي الْأَنَامِ

التخریج:

الأغاني ١٨٣/٢٢، وفيه: (وحدثنني (أي علي بن العباس) عن أبيه قال: كنت عند إبراهيم بن المدبر فزارته بدعة وتحفة وأقامتا عنده فأنشدنا يومئذ).

التعريف:

- ١- في رواية: (أيها الزائران).
- ٢- في رواية: (ثم رجعنا في الكلام). الترجيح في الأصل: ترديد الصوت على نحو ما يفعل الملحنون، والمراد هنا تكرار الاستذنان.
- ٣- صوب الغمام: المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذي.

\* \* \*

وقال:

(هزج)

- ١- أَلَا يَا أَبَايَ أَنْتُمْ  
نَأَتْ دَارُ بِنَا عَنْكُمْ
- ٢- فَإِنْ كُنْتُمْ تَبَدَّلْتُمْ  
فَمَا مِنْ بَدَلٍ مِنْكُمْ
- ٣- وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى الْعَهْدِ  
فَأَحْسَنْتُمْ وَأَجْمَلْتُمْ
- ٤- وَيَا لَيْتَ الْمُنَى حَقَّتْ  
فَنُبْدِيهَا وَلَا نَكْتُمْ
- ٥- فَكُنْتُمْ حَيْثُمَا كُنَّا  
وَكُنَّا حَيْثُمَا كُنْتُمْ

التخريج:

الأغاني ١٨٢/٢٢، وفيه: (وأنشدني عليُّ بنُ العباسِ لإبراهيمَ بنِ المدبّرِ وفيه لِعَرِيبِ هَزَجٍ).

التعريف:

١- نَأَتْ: بَعُدَتْ.

٣- أَجْمَلْتُمْ: أَحْسَنْتُمْ.

\* \* \*

وقال: (مجزوء الكامل)

- ١- قُلْ يَا رَسُولُ لِهَذِهِ
- وَلِهَذِهِ بِأَبِي هُمَا
- ٢- قَدْ كَانَ وَضَلُّكُمَا لَنَا
- حَسَنًا فَفِيمَ قَطَعْتُمَا؟
- ٣- أَعْرَيْبُ سَيِّدَةُ النِّسَا
- ءِ بِهَجْرِنَا أَمْرَتُكُمَا؟
- ٤- كَلَّا وَبَيْتِ اللَّهِ بَلْ
- هَذَا جَفَاءٌ مِنْكُمَا

.....  
التخريج:

الأغاني ١٨٢/٢٢، وفيه: (حدّثني عليُّ بنُ سليمانَ قال: أنشدني أبي قال: أنشدني إبراهيمُ بنُ المدبّر، وقد كتبَ إلى يدعَمَةَ وتُحفَةَ يستدعيهما، فتأخّرتا عنه فكتبَ إليهما).

\* \* \*

- ن -

- ٤٣ -

وقال: (رمل)

.....  
التخريج:

الأغاني ١٨٥/٢٢، (يحسن النظر في تخريج الرقم «٢٠»).

١- وَجَلَا عَنْ وَجْهِ دَعْدٍ مَوْهِنًا  
عَجَبًا مِنْهُ سَنَا أَبَدَى سَنَا

التعريف:  
١- موهناً: نصف الليل.

\* \* \*

- ٤٤ -

وقال: (بسيط)

١- يَا نَبْتُ يَا نَبْتُ قَدْ هَامَ الْفُؤَادُ بِكُمْ  
وَأَنْتِ - وَاللَّهِ - أَحْلَى الْخَلْقِ إِنْسَانَا  
٢- أَلَا صِلِينِي فَإِنِّي قَدْ شُغِفْتُ بِكُمْ  
إِنْ شِئْتَ سِرًّا وَإِنْ أَحْبَبْتَ إِعْلَانَا

\* \* \*

- ٤٥ -

وقال: (رمل)

التخريج:

الأغاني ١٦٨/٢٢ - ١٦٩، وفيه: (حدّثني عمي، قال: حدّثني  
محمد بن داود قال: كتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون،  
في أيام نكبته يسأله إذكار المتوكل والفتح بأمره... فلم يزالوا في أمره  
حتى خلصوه).

والأبيات في أعتاب الكتاب ١٦٠.

- ١- كَمْ تَرَى يَبْقَى عَلَى ذَا بَدَنِي
- قَدْ بَلِي مِنْ طُولِ هَمِّ وَضَنِي
- ٢- أَنَا فِي أَسْرٍ وَأَسْبَابٍ رَدَى
- وَحَدِيدٍ فَادِحٍ يَكْلِمُنِي
- ٣- يَا بَنَ حَمْدُونَ فَتَى الْجُودِ الَّذِي
- أَنَا مِنْهُ فِي جَنَى وَرَدٍ جَنِي
- ٤- مَا الَّذِي تَرْقُبُهُ أَمْ مَا تَرَى
- فِي أَخٍ مُضْطَهَدٍ مُرْتَهَنٍ!
- ٥- وَأَبُو عِمْرَانَ مُوسَى حَنِقٌ
- حَاقِدٌ يَطْلُبُنِي بِالْإِحْنِ
- ٦- وَعُغْبَيْدُ اللَّهِ أَيْضاً مِثْلُهُ
- وَنَجَاحُ بِي مُجَدُّ مَا يَنِي
- ٧- لَيْسَ يَشْفِيهِ سِوَى سَفْكِ دَمِي
- أَوْ يَرَانِي مُدْرَجاً فِي كَفْنِي
- ٨- وَالْأَمِيرُ الْفَتْحُ إِنْ أَذْكَرْتَهُ
- حُرْمَتِي قَامَ بِأَمْرِي وَعُنِي

التعريف:

- ١- ضَنِي: نَحْلٌ.
- ٢- فَادِحٌ: ثَقِيلٌ. يَكْلِمُنِي: يَجْرَحُنِي.
- ٣- الْجَنَى: كُلُّ مَا يُجْنَى مِنَ الشَّجَرِ. الْجَنِيُّ: مَا جُنِيَ لِسَاعَتِهِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.
- ٥- أَبُو عِمْرَانَ: هُوَ مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، كَانَ عَلَى دِيْوَانَ الْخِرَاجِ فِي عَهْدِ الْمُتَوَكِّلِ.
- ٦- فِي أَعْتَابِ الْكِتَابِ: (وَنَجَاحٌ فَمَجْدٌ لِأَيِّنِي).
- يَنِي: يَضْعَفُ وَيَفْتَرُ وَيَكْلُ.
- ٧- أَعْتَابِ الْكِتَابِ: (فِي كَفْنِي).

- ٩- فَالُ صِدْقٍ حِينَ أَدْعُو بِأَسْمِهِ  
 وَسُرُورٍ حِينَ يَعْرُو حَزَنِي
- ١٠- قُلْ لَهُ: يَا حُسْنَ مَا أَوْلَيْتَنِي  
 مَا لِمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ ثَمَنِ
- ١١- زَادَ إِحْسَانَكَ عِنْدِي عِظْمًا  
 أَنَّهُ بَادٍ لِمَنْ يَعْرِفُنِي
- ١٢- لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ أَجْزِيكَ بِهِ  
 غَيْرَ أَنِّي مُثْقَلٌ بِالْمِنَنِ
- ١٣- مَا رَأَى الْقَوْمُ كَذَنِّي عِنْدَهُمْ  
 عِظْمُ ذَنْبِي أَنَّنِي لَمْ أَخْنِ
- ١٤- ذَاكَ فِعْلِي وَتَرَاثِي عَنْ أَبِي  
 وَأَقْتِدَائِي بِأَخِي فِي السُّنَنِ
- ١٥- سُنَّةٌ صَالِحَةٌ مَعْرُوفَةٌ  
 هِيَ مِنَّا فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ
- ١٦- ظَفِرَ الْأَعْدَاءِ بِي عَنْ حِيلَةٍ  
 وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُظْفِرَنِي
- ١٧- لَيْتَ أَنِّي وَهُمْ فِي مَجْلِسٍ  
 يَظْهَرُ الْحَقُّ بِهِ لِالْفِطَنِ
- ١٨- فَتَرَى لِي وَلَهُمْ مَلْحَمَةٌ  
 يَهْلِكُ الْخَائِنُ فِيهَا وَالذَّنِي

٩- يعرو: يُلْمُ وَيُصِيبُ.

١٤- السُّنُّنُ: جَمْعُ سُنَّةٍ، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ وَالسَّيْرَةُ.

١٩- وَالَّذِي أَسْأَلُ أَنْ يُنْصِفَنِي  
حَاكِمٌ يَقْضِي بِمَا يَلْزُمُنِي  
٢٠- قُلْ لِحَمْدُونَ خَلِيلِي وَابْنِهِ  
وَلِعَيْسَى حَرَكُوهُ يَا بَنِي

\* \* \*

- ٤٦ -

وقال: (طويل)

١- أَيَا سَاقِيَيْنَا وَسَطَ دَيْرِ سُلَيْمَانَ  
أَدِيرَا الْكُوُوسَ فَأَنهَلَانِي وَعَلَّانِي

التخریج:

الأغاني ١٧٦/٢٢ - ١٧٧، وفيه: (أخبرني جعفر بن قدامة قال: ولي إبراهيم بن المدبر بعقب نكته وزوالها عنه الثغور الجزرية، فكان أكثر مقامه بمنبج (من أعمال حلب)، فخرج في بعض أيام ولايته إلى نواحي دلك (بليدة من نواحي حلب)، ورعبان (مدينة بين حلب وسميساط)، وخلف بمنبج جارية كان يتحطاها يقال لها غادر، فحدثني بعض كتابه أنه كان معه بدلك، وهو على جبل من جبالها، فيه دبر يعرف بدبر سليمان من أحسن بلاد الله وأنزهها، فنزل عليه ودعا بطعام خفيف فأكل وشرب، ثم دعا بدواة وقسطاس فكتب).

والأبيات مع حكايتها في معجم البلدان ٥١٦/٢ عن الأغاني.

التعريف:

١- إنهلاني وعلاني: النهل: الشرب الأول، والعل: الشرب الثاني.

- ٢- وَخُصًّا بِصَافِيهَا أَبَا جَعْفَرَ أَخِي  
وَذَا ثِقَتِي بَيْنَ الْأَنَامِ وَخُلَصَانِي
- ٣- وَمِيلاً بِهَا نَحْوَ ابْنِ سَلَامٍ الَّذِي  
أَوْدُ، وَعُودًا بَعْدَ ذَلِكَ لِنُعْمَانَ
- ٤- وَعُمًّا بِهَا النَّدْمَانَ وَالصَّحْبَ إِنِّي  
تَنَكَّرْتُ عَيْشِي بَعْدَ صَحْبِي وَإِخْوَانِي
- ٥- وَلَا تَتْرُكَا نَفْسِي تَمَّتْ بِسَقَامِهَا  
لِذِكْرِي حَيْبٍ قَدْ شَجَانِي وَعَنَانِي
- ٦- تَرَحَّلْتُ عَنْهُ عَنِ صُدُورٍ وَهَجْرَةٍ  
وَأَقْبَلَ نَحْوِي وَهُوَ بَاكِ فَأَبْكَانِي
- ٧- وَفَارَقْتُهُ وَاللَّهُ يَجْمَعُ شَمْلَنَا  
بِلَوْعَةٍ مَحْزُونٍ وَعُغْلَةٍ حَرَّانٍ
- ٨ وَلِيْلَةَ عَيْنِ الْمَرْجِ زَارَ خِيَالَهُ  
فَهَيَّجَ لِي شَوْقًا وَجَدَّدَ أَشْجَانِي
- ٩- فَاشْرَفْتُ أَعْلَى الدَّيْرِ أَنْظُرُ طَامِحًا  
بِالْمَحِ آمَاقٍ وَأَنْظُرُ إِنْسَانَ

- ٢- معجم البلدان: (فذا ثقتي)، الخُلَصَانُ: الخالصُ من الإخوان.
- ٤- معجم البلدان: (وَعُمًّا بِهَا النُّعْمَانَ).
- ٥- معجم البلدان: (قد سَقَانِي وَعَنَانِي). عَنَانِي: كَلْفَنِي مَا يَشُقُّ عَلَيَّ.
- ٦- معجم البلدان: (فأقبل).
- ٧- عُغْلَةُ حَرَّانٍ: العُغْلَةُ: شِدَّةُ العَطَشِ وحرارته، الحَرَّانُ: العَطْشَانُ.
- ٨- عَيْنُ الْمَرْجِ: (قرية من نواحي سامراء وكانت من منتزهات بغداد) عن هامش الأغاني
- ١٧٧/٢٢.
- ٩- طَامِحًا: مُتَطَلِّعًا مُسْتَشْرِفًا، إِنْسَانٌ: أَي إِنْسَانٌ العَيْنِ وَهُوَ نَاطِرُهَا.

- ١٠- لَعَلِّي أَرَى أَيْبَاتَ مَنْبَجِ رُؤْيَةٍ  
 تُسَكِّنُ مِنْ وَجْدِي وَتَكْشِفُ أَحْزَانِي  
 ١١- فَقَصَّرَ طَرْفِي وَأَسْتَهَلَّ بِعَبْرَةٍ  
 وَفَدَّيْتُ مَنْ لَوْ كَانَ يَدْرِي لَفَدَّانِي  
 ١٢- وَمَثَلُهُ شَوْقِي إِلَيْهِ مُقَابِلِي  
 وَنَاجَاهُ قَلْبِي بِالضَّمِيرِ وَنَاجَانِي

١١- استهلَّ: انصبَّ.

١٢- معجم البلدان: (وناجاه عني بالضمير). نَاجَاهُ: سَارَهُ.

\* \* \*

- ٤٧ -

(مقارب)

وقال:

- ١- أَلَا يَا عَرِيبُ وَقَيْتِ الرَّدَى  
 وَجَنَّبَكَ اللَّهُ صَرْفَ الزَّمَنِ  
 ٢- فَإِنَّكَ أَصْبَحْتَ زَيْنَ النِّسَاءِ  
 وَوَأَحَدَةَ النَّاسِ فِي كُلِّ فَنٍّ  
 ٣- فَقُرْبِكَ يُدْنِي لَذِيذَ الْحَيَاةِ  
 وَبُعْدُكَ يَنْفِي لَذِيذَ الْوَسَنِ

التخریج:

الأغاني ١٧٩/٢٢، وفيه: (وأنشدني الصّولي أيضاً له فيها)، والأبيات  
 في نهاية الأرب ١٠٩/٥.

التعريف:

١- صَرْفُ الزَّمَنِ: نَوَائِبُهُ وَجَدَثَاتُهُ.

٤- فَنِعْمَ الْجَلِيسُ وَنِعْمَ الْأَنْبِيَاءُ  
وَنِعْمَ السَّمِيرُ وَنِعْمَ السَّكَنُ

٤- نهاية الأرب: (فنعمة الأبيس ونعمة الجليس). السُّكُنُ: ما يُسْكَنُ إليه وَيُسْتَأْنَسُ به.

\* \* \*

- ٤٨ -

وقال: (مجزوء الكامل)

١- إِنَّ الْقِنَاعَةَ وَالْعَفَا  
فَ لِيُغْنِيَانِ عَنِ الْغِنَى  
٢- فَإِذَا صَبَرْتَ عَنِ الْمُنَى  
فَأَشْكُرْ، فَقَدْ نِلْتَ الْمُنَى

التخریج:

أدب الدنيا والدين ٢٠٨.

التعريف:

١- يُغْنِي عَنْهُ: يَنْوِبُ عَنْهُ.

\* \* \*

- ي -

- ٤٩ -

١- بِأَبِي مَنْ حَقَّقَ الظَّنَّ بِهِ  
فَأَتَانَا زَائِرًا مُبْتَدِيًا

التخریج:

الأغاني ٢٢/١٧٨ - ١٧٩، وفيه:

- ٢- كَانَ كَالْغَيْثِ تَرَاحَى مُدَّةً  
وَأَتَى بَعْدَ قُنُوطِ مُرُوبٍ
- ٣- طَابَ يَوْمَانِ لَنَا فِي قُرْبِهِ  
بَعْدَ شَهْرَيْنِ لِهَجْرٍ مَضِيَا
- ٤- فَأَقْرَّ اللَّهُ عَيْنِي وَشَفَى  
سَقْمًا كَانَ لِجِسْمِي مُبْلِيَا

(حدّثني جحظة قال: حدّثني عبد الله بن حمدون قال: اجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبر وابن منارة والقاسم وابن (كذا ولعل الواو زائدة) زرزور في بستان بالمطيرة، وفي يوم غيم يهريق رذاذه ويقطر أحسن قطر، ونحن في أطيب عيش وأحسن يوم، فلم نشعر إلا بعرب قد أقبلت من بعيد، فوثب إبراهيم بن المدبر من بيننا، فخرج حافياً، حتى تلقاها وأخذ بركابها، حتى نزلت وقبل الأرض بين يديها، وكانت قد هجرته مدةً لشيء أنكرته عليه، فجاءت وجلست وأقبلت عليه مبتسمةً، وقالت: إنما جئت إلى من ها هنا لا إليك. فاعتذر وشيّعنا قوله، وشفّعنا له فرضيت وأقامت عندنا يومئذٍ وباتت، واصطبحننا من غدٍ، وأقامت عندنا فقال إبراهيم لعريب في هذا الشعر لحنان: رَمَلٌ وَهَزَجٌ بِالْوَسْطَى).

والأبيات في نهاية الأرب ١٠٨/٥.

التعريف:

٤- أقرَّ الله عينه: أعطاه وأرضاه.

\*\*\*

## المصادر

- آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي، د: يونس أحمد السامرائي، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٧٩ م.
- ابن خالويه وجهوده في اللغة، محمود جاسم محمد، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة.
- أخبار أبي تمام، لأبي بكر الصولي، ط (١)، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م القاهرة.
- أخبار البحترى، لأبي بكر الصولي، ط (١)، تحقيق: د. صالح الأشر، دمشق ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م.
- أدب الدنيا والدين، للماوردي، ط (١٦)، القاهرة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م.
- أدب الكتاب، لأبي بكر الصولي، مصر، القاهرة ١٣٤١ هـ.
- الأذكياء، لابن الجوزي، النجف، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- الأستاذ، مجلة ع ٢، ١٩٧٨ - ١٩٧٩ م بغداد.
- إعتاب الكتاب، لابن الأبار، تحقيق: د. صالح الأشر، ط (١)، دمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م.
- الأعلام، للزركلي، ط (٣)، بيروت ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، مصور طبعة دار الكتب.
- الأعلام، مجلة ج ١١، السنة (٥)، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- الاقتباس من القرآن الكريم، للشعالبي، تحقيق: د. ابتسام الصّفار، بغداد ١٩٧٣ م.

- الأمالي، لأبي عليّ القالي، بيروت.
- البحثري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل، د. يونس أحمد السامرائي، بغداد ١٩٧٠ م.
- المحتري في سامراء بعد عصر المتوكل، د. يونس أحمد السامرائي، بغداد ١٩٧١ م.
- بدائع البدائيه، لابن ظافر الأزدي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٠ م.
- البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: د. إبراهيم الكيلاني، دمشق ١٩٦٤ م.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط (٤)، مصر ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- تاج العروس، للزبيدي، طبعة الكويت.
- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٦١ م.
- تاريخ الأدب العربي، للزيات، ط (٢٥)، القاهرة.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ الطبري، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م.
- تاريخ يعقوبي، النجف ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- تمام المتنون في شرح رسالة ابن زيدون، للصفدي، ط (١)، القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، مصر ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.
- الجاحظ حياته وآثاره، د. طه الحاجري، دار المعارف ١٩٦٢ م.
- جمع الجواهر، للحصري، تحقيق: البجاوي، مصر ١٩٦٢ م.
- جهمرة رسائل العرب، لأحمد زكي صفوت، ط (١)، القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م.

- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، ط (٢)، القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.
- ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، القاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ديوان أبي تمام، بشرح التبريزي، تحقيق: د. محمد عبدة عزام، مصر.
- ديوان البحري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مصر ١٩٦٣ م.
- ديوان ديك الجن، تحقيق: د. أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، بيروت - لبنان.
- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، بيروت ١٣٥٢ هـ.
- الديارات، للشابستي، تحقيق: كوركيس عواد، ط (٢)، بغداد ١٩٦٦ م - ١٣٨٦ هـ.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للزمخشري، تحقيق: د. سليم النعيمي، بغداد.
- الرسالة العذراء، تحقيق: د. زكي مبارك، ط (١)، القاهرة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م.
- رسائل البلغاء، لمحمد كرد علي، ط (٤)، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م.
- رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- رسائل سعيد بن حميد وأشعاره، د. يونس أحمد السامرائي، بغداد ١٩٧١ م.
- زهر الآداب وثمر الألباب، للحصري، تحقيق: د. زكي مبارك، ط (٢)، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م.
- سامراء في أدب القرن الثالث الهجري، يونس أحمد السامرائي، بغداد ١٩٦٨ م.
- سمط اللآلي، لأبي عبيد البكري، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط (١)، القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م.

- شرح مقامات الحريري، للشريشي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط (١)، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م القاهرة.
- شعر اليزيديين، جمع وتحقيق: د. محسن غياض، النجف ١٩٧٣ م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي، مصور طبعة دار الكتب، القاهرة.
- الصداقة والصديق، لأبي حيّان التوحيدي، شرح وتعليق: علي متولّي صلاح، ١٩٧٢ م.
- الطرائف الأدبية، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٧ م.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه، ١٣٧٥ هـ - ١٩٦٥ م بيروت (أوفست).
- الفاضل في صنعة الأدب الكامل، للوشاء، تحقيق: يوسف يعقوب مسكوني، بغداد ١٣٩٢ هـ - ١٩٧١ م.
- الفرج بعد الشدة، للتونخي، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- الفهرست، لابن النديم، القاهرة والطبعة الأوربية.
- فوات الوفيات، لابن شاکر الکتبي، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣ م.
- قطب السرور في أوصاف الخمور، للرقيق النديم.
- اللطائف والظرائف، للثعالبي، مخطوط في مكتبة د. محمود عبد الله الجادر.
- محاضرات الأدباء، للراغب، بيروت ١٩٦١ م.
- مختصر التاريخ، لابن الكازروني، تحقيق: د. مصطفى جواد، بغداد ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، دار الأندلس، بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.
- المستطرف في كل فن مستظرف، للابشيبي، القاهرة.
- المشتبه في أسماء الرجال للذهبي، تحقيق: البجاوي، القاهرة ١٩٦٢ م.

- معاهد التنصيص، للعباسي، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق: د. أحمد فريد رفاعي، القاهرة.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- معجم الشعراء، للمرزباني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.
- المتحل، للثعالبي، تحقيق: أحمد أبو علي، الإسكندرية ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م.
- المورد، مجلة م ٢ ع ٢ ص ٤٥، بغداد.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد، مصر.
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، للتوخّي، تحقيق: عبود الشالحي، بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- الهفوات النادرة لغرس النعمة، تحقيق: د. صالح الأشر، ط (١)، دمشق ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- الوافي بالوفيات، للصفدي، بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- الوزراء والكتاب، للجهمياري، ط (١)، القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت.
- الولاة والقضاة، للكندي، بيروت ١٩٠٨ م.